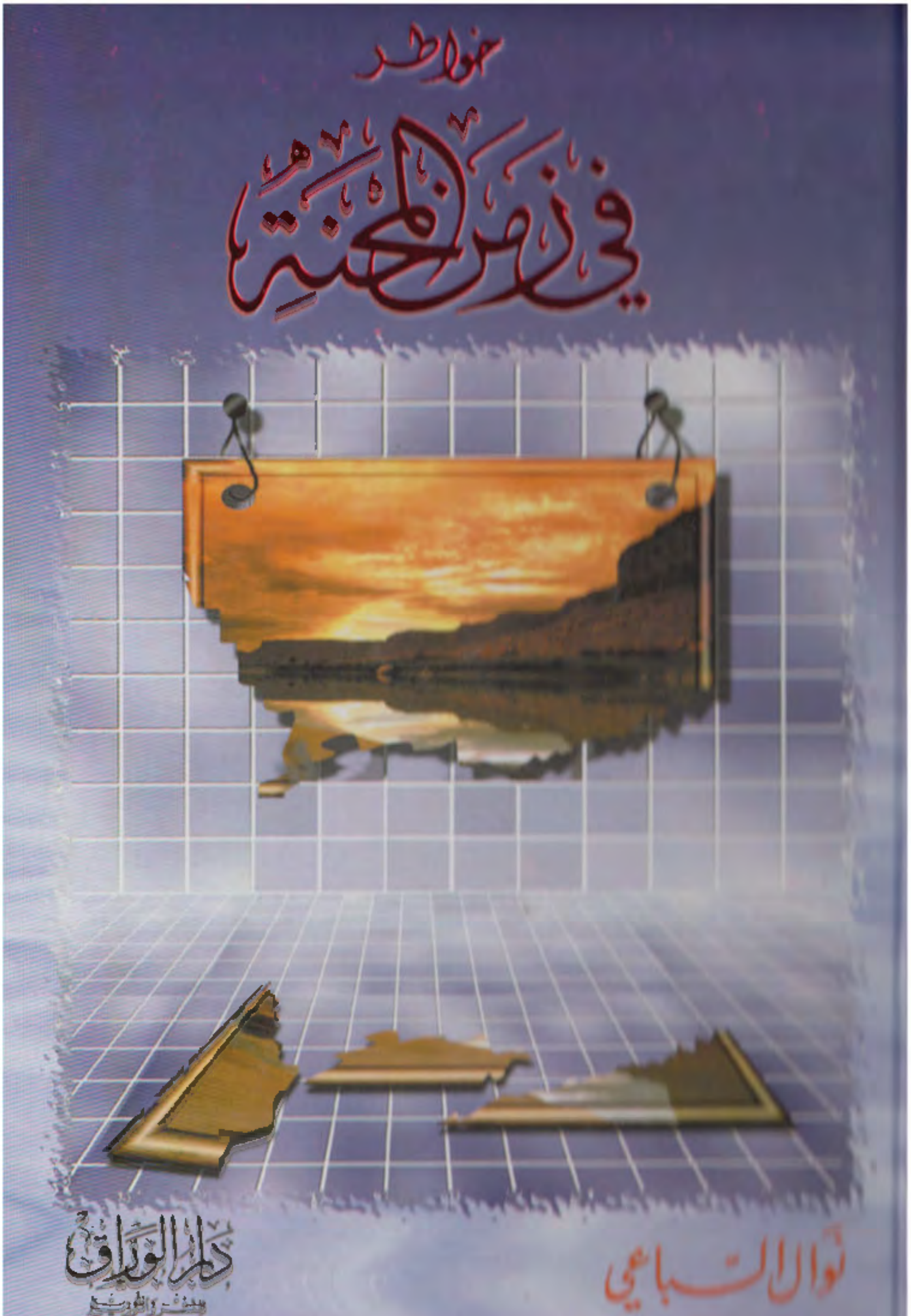
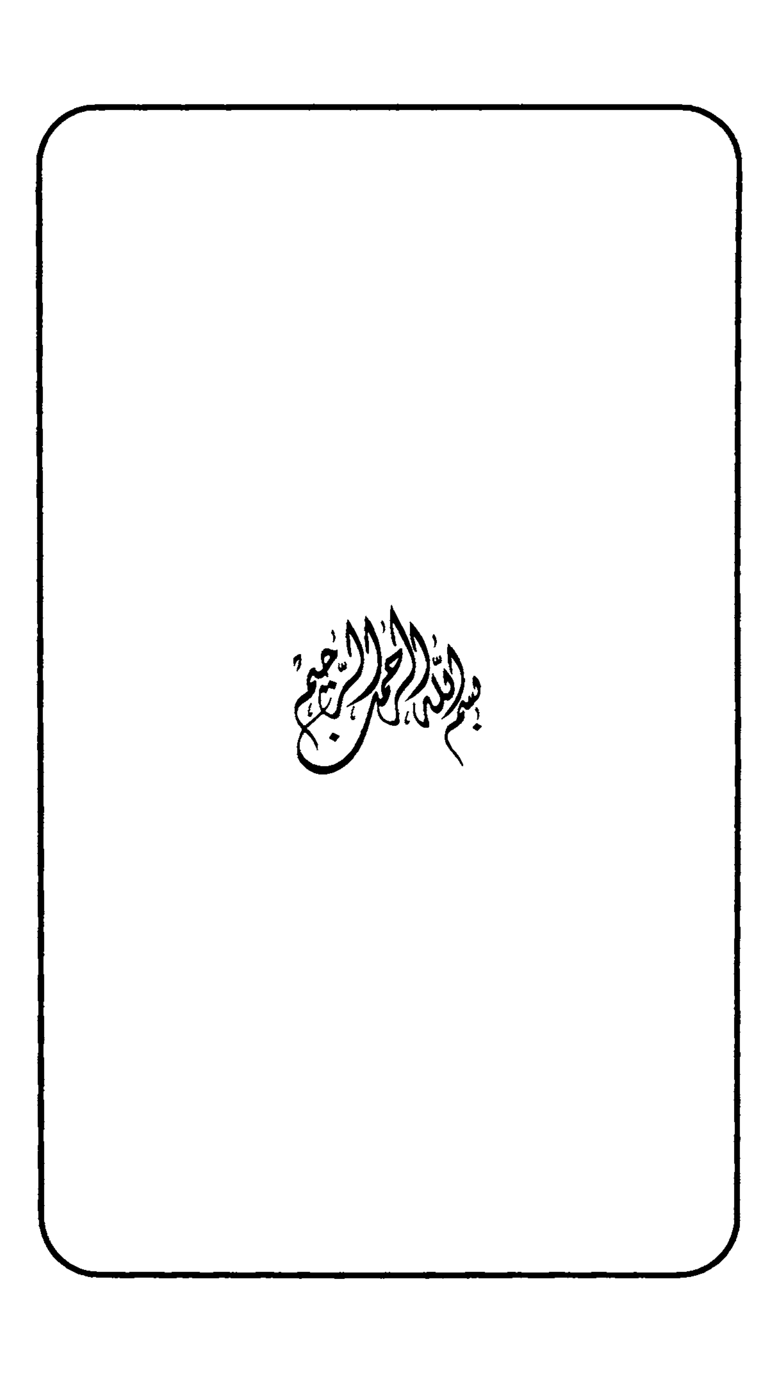

خواطر
في زمن المحنة
نوال السباعي
دار الوراق
للنشر والتوزيع


منتدى سور الأزبكية
WWW.BOOKS4ALL.NET


بسم الله الرحمن الرحيم



نوال السباعي

طبعة جديدة ومزيدة



الطبعة الثانية لدار الوراق
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م



بيروت ـ هاتف وفاكس ٠١/٦٦٤٤٩٩ ـ ص ب: ١٤/٦٣٨٠
E.Mail:msibaie @hotmail.com
E.Mail:warrak @maktoob.com

المملكة العربية السعودية ـ الرياض ـ الرمز ١١٣٩١ ص ب ٦٤١

هاتف : ٤١٦٢٥٢٧ ـ فاكس ٢١٧٠٦٤٢



﴿الٓمٓ (١) أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ
ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ (٢) وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ
فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٣) أَمۡ
حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا
يَحۡكُمُونَ (٤) مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ
وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ (٥) وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ
إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٦) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِي
كَانُواْ يَعۡمَلُونَ (٧)﴾ . . . «صدق الله العظيم».

[العنكبوت: ١ ـ ٧]

بين يدي هذه الخواطر

في زمن المحنة تستقيم كل المنحنيات، وتستوي المساحات في النفس الإنسانية، فتبدو الطريق إلى المنحة واضحة جلية، وتصبح الأفكار فاعلة في النفوس، تحمل الصادقين إلى ميادين العمل على دروب الخلاص.

ليس للأديب الملتزم في زمن المحنة إلا أن يختار طريقه ويتحمَّل مشقَّة السفر، في هذه الدرب المحفوفة بالمعاناة والمكابدة والألم، وهو يعيش محنته المضاعَفة مع شعوب أنهكها العطش فأقالت تحت شجرة الصبر تنتظر السماء أن تمطر، دون أن تكلِّف نفسها عناء حفر بئر في الأرض.

مهمة الأديب بعث الحياة في حياة الأموات، وحمل المشاعل مع الذين يحملونها لينيروا بها الدروب المظلمة، واجب الأديب يقتضيه أن يجاهد بسلاحه، ما دام سلاحه بيده، وما دام هذا القلم يحيا بأنَّات

الشعوب فعليه أن يستشهد لتحيا هذه الشعوب.

كلمات الأديب في زمن المحنة، صرخات بالحق في زمن انسحب فيه الناس من ساحات الجهاد وهم يخافون الموت، خواطره برقية إلى السلطان تحذّره من ثورة الإنسان، وهو يعلم أن كل السلاطين لا يحبُّون إلا برقيات التأييد والمديح.

خواطره.. حنين ينزرع في الصدر كالشوك، يتحرك باستمرار، مضطرباً، قلقاً، حائراً، ثائراً، ثم يولد في حالات الحب والألم والثورة والندم.. وهي حالات أربع تسبب كل الولادات في العالم.

خواطره.. منشور علني يوزعه وهو يعلم أن حبال المشانق الاجتماعية قبل السياسية تنتظره في بلاد لا يحترم أحد فيها الأقلام ولا الآلام.

خواطره.. انفصال من رحم الحياة الرتيبة الهادئة المستكينة، وطلاق بائن من الراحة والسلام النفسي ـ وما أمكن من استعلاءٍ عن حاجات القطيع وتفكير القطيع، ما دام هذا القطيع هائماً ضائعاً لا يستطيع تحديد هدف ولا الوصول إليه.

كلماته... حالة من الحالات التي يصير فيها الإنسان مجاهداً وهو يعلم أن الجهاد فرض عين ـ في

زمن المحنة ـ يستوجب منه المرابطة على ثغور تعرّضه لكثير من الأذى، مما يفرض عليه اِلتزاماً غير عادي ينعدم معه في قلبه الخوف ويصبح حب الشهادة في سبيل الله ترنيمة لا تغادر قلبه، غير عابىء بأولئك الذين يحاربونه من أصدقاء أو أعداء، أو هؤلاء الذين يزيّنون له القعود عن أداء الواجب من المثبطين المُحبِطين المحبَطين المثّاقِلين إلى الهوان والذُلّ والرضى بالأمر الواقع، في مثل الأجواء الغريبة التي يعيش فيها الشباب العربي اليوم، وهو يفتقد الحرية الفكرية والأمن والسلام، ويعاني من محن اجتماعية مزلزلة، تتمثّل في عادات وتقاليد تحكم الفرد والأسرة والمجتمع، ولا تمت بصلة إلى دين أو منطق أو إنسانية.

في مثل هذا الجو المشحون بالخوف والفوضى والتناقضات المُرَّة، نشأ جيل يبحث عن الطريق، وتخبَّط بِشدّة وهو يخطو خطواته الأولى، وما زال يتعثَّر ولما يتعلَّم من كبواته كيف يقف ويصحِّح المسيرة ويعترف بالخطأ ويبدأ التغيير من نفسه ويجدّد العزم ويمضي من جديد.

❦ ❦ ❦

الخواطر أسلوبٌ من أصدق الأساليب الأدبية للتعبير عن النفس والكتابة في السيرة الذاتية، لأنها قادرة

على توصيل أكبر عدد من الأفكار في أقصر عبارة ممكنة، فهي عرض مباشر وسريع لكل الأزهار والأشواك والأعشاب والأشجار في هذه الأرض المترامية الأطراف المجهولة الحدود والتي تدعى النفس الإنسانية.

وخواطري هذه كانت قد ولدت في زمن محنة، سجلتها فيه على مدى سنوات عشر، تعلّمت فيها كيف يمكن للمرء أن يعشق وطنه الذي نُصبت فيه المشانق وصدر فيه الحكم بالإعدام على الإنسان... أصدر ذلك الحكم قاضيان جائران خائنان، أحدهما يدعى الظلم السياسي والثاني اسمه الفساد الاجتماعي!.

خواطري هذه.. ليست إلا صدى لبعض تجارب حياةٍ شابةٍ قصيرةٍ بالسنين، أردت أن أحملها إلى شعبي المنكوب في تربية إنسانه وفي واقعه الاجتماعي ثم واقعه السياسي، ولو كانت الأعمار تُقاس بالسنين لما أقدمت على نشر هذه الخواطر في حينها، لكن الأعمار تُقاس بالآلام الخالصة، والأفراح الصافية، التي مرّت على قلب إنسان، فعلّمته كيف يكبر وكيف يسير في طريق الجهاد، وكيف يطلب الموت ليحيا، وكيف يقدّم نفسه فداءً لما يؤمن به، لأن الكلمة إذا لم يقلها صاحبها في زمن المحنة فالأولى بها أن لا تقال، فإما أن تمضي كلماتنا في ظلال دماء الشهداء والممتحنين والمرابطين على ثغور المستقبل،

وإلا فإن المواقد أولى بها من أن تنتظر بزوغ الفجر لتزينه بعد النصر بأقحوان الألم.

❀ ❀ ❀

أريد لكلماتي أن تجاهد مع الذين يجاهدون دون كلل ولا ملل، بقلوبهم وألسنتهم وأقلامهم وأنفسهم وأموالهم وآمالهم وآلامهم، فهؤلاء قوم علَّمونا أن القول هو العمل، وأن الدرب تصنعه خطوات المسير فيه، وأن الأمم لا تؤتى إلا من الوهن واليأس، فعلى طريقهم نمضي، ومن آلامهم نستمد قدرتنا على مواصلة المسيرة.

فالله أسأل أن يرينا الحق واضحاً ويلهمنا أسلم الطرق وأصوبها لاتباع ذلك الحق، فلا تلتبس علينا السبل فتحبط أعمالنا في الدارين.

نوال السباعي

مدريد، ذو القعدة ١٤٠٦هـ

تموز ١٩٨٦م

«إننا لا نكتبُ بالمداد، ولكن بدَمِ القَلْب،
فعُذراً إن ظهرت آثارُ الجراح في سُطورنا»

عصام العطّار

ـ ١ ـ

«يا صديقي . .

أين تمضي في الدروب المظلمات . .

تائهاً في كل أرض . . جاهلاً سر الحياة

شعلة الإسلام نور

للحيارى التائهين

واهتداء وسرور . .

يا أخي للضائعين» .

(١) الأمل الذي لا يقترن بالعمل الموجَّه الجاد، هو بناء في عالم حالم مُخدِّر، وسعادة آنية هي في حقيقتها شقاء مرير، ووسادة للأحلام ندرك بعد اليقظة أنها كانت ملأى بالأشواك.

(٢) ما أشقى الحياة دون أمان، وما أقبحها إذا كانت ترقُّباً وانتظاراً لمجهول تعس كئيب، وما أظلمها إذا كانت عجينة بيد الحاقدين على الإنسان، وأنت لا تحرك ساكناً لاستنقاذ نفسك من هوانها.

(٣) أن يكرهك الناس وأنت تثق بنفسك وتحترمها، أهون في بعض الأحيان من أن يحبك الناس وأنت تكره نفسك ولا تثق بها.

(٤) قالت: خفِّفوا من صلاتكم وظهوركم في الشارع

بمظهر المسلم الملتزم بدينه، فالزمن مخيف والأعداء بالمرصاد.

قلت: ألست أنت التي علَّمتِنا في المدرسة الثبات على المبدأ، والتمسُّك بالعقيدة؟

قالت: لكل حين سلوك يناسبه، ونحن الآن في محنة.

قلت: ألم تذكري لنا قصة الذي قتلوا ولده برأيه، خوفاً أن يبوح الولد بالسر لو قتلوا الوالد.

فوجمت ثم قالت: قصة قررناها عليكم.. أما زلت تذكرينها منذ سنوات عشر، ما أدرانا أن بين الطلاب أمثالكم؟

نظرت إليها، ورحمت سنواتها الخمسين، وقلت في نفسي: وما أدرانا أن بين المعلِّمين أمثالكم، يقولون ما لا يفعلون، ويقرِّرون على تلاميذهم ما لا يفكرون به، ويسقطون في أول امتحان يواجههم، فيفشلون في أن يكونوا القدوة والمثل.

❁ طالما أنك تفكر وتسأل، فأنت إنسان، فإذا أحسست بلهو هذه الحياة، وشعرت بالخوف من موت لا تصدق أنه نهاية كل حي، وقلّبت نظرك في هذا الكون، لتبحث في نجومه عن أسراره، وإذا ما ثرت على قناعات الناس الخاطئة،

وعاداتهم الجاهلية التي تثير الاشمئزاز، إنك حينئذ إنسان وضع قدميه في بداية طريق النور.

٦ الأسرة الإنسانية في عصر الحضارات المادية، وجه بائس مشوَّه، الإنسان دمعة كبيرة على وجنتيه.

٧ كلما تأملت في أحوال المسلمين، والعرب منهم بشكل خاص، تساءلت: مَن الذي أكل الحصرم حتى جاءت كل هذه الأجيال ضرسىٰ؟.

٨ كم من الآباء يُسيئون وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً؟ وكم من الأواني كسرناها ونحن نريد أن نضع فيها الزهور؟.

٩ إذا كانت ذاكرتك قوية، وذكرياتك مريرة فأنت أشقىٰ أهل الأرض!.

١٠ دائماً تتغير مواقفنا في الحكم على الأشياء، عندما ننتقل من موقف الاتهام إلى موقف المتهم. ولا نعترف بالحق إلا إذا كان في صفنا. ونتخلىٰ عن الحقيقة عندما تبدأ بإثارة المشكلات. دائماً يحدث ذلك.. كلما ارتكسنا في عجزنا عن الثبات على الحق ولو كان كلمة!.

١١ لا تقف كثيراً عند أخطاء ماضيك لأنها ستحيل حاضرك جحيماً، ومستقبلك حطاماً، يكفيك منها وقفة اعتبار تعطيك دفعة جديدة في طريق الحق والصواب.

١٢ ليست مشكلةً أن تخطىء، حتى لو كان خطؤك جسيماً، وليست ميزة أن تعترف بالخطأ وتقبل النصيحة، إنما العمل الجبار الذي ينتظرك حقاً، هو أن لا تعود لمثلها أبداً.

١٣ كم هم كثرة أولئك الذين يشوّهون إيمان المرء بربّه ويقينه بدينه، كم هم كثرة، لحاهم طويلة، ويحفظون آيات من القرآن!!.

١٤ لم يؤذني أحد كما آذاني ذلك الذي أمضىٰ شطراً من عمره داعياً إلى نصرة فكرة، ولما وضعه الله على محكّ التجربة، فشل في تمثُّل شيء مما كان يدعو إليه.

١٥ كل دمعة لها نهاية، ونهاية الدمعة بسمة، وكل بسمة لها نهاية، ونهاية البسمة دمعة. والحياة بداية ونهاية، وبسمة ودمعة، فلا تفرح كثيراً، ولا تحزن كثيراً، إذا أصابتك إحداهما، فنصيبك من الأخرى مخبوء في صفحة القدر.

١٦ عندما يكدّك الألم، وتشعر بالعذاب والحرمان، وعندما تتعب من يأسك وآلامك وآمالك، وعندما يملؤك الشعور بالوحدة على الرغم من التصاق الكثيرين بك يسدُّون عليك منافذ الهواء، وعندما ينكشف لك الصديق عن منافق، ويرحل الأحباب. عند كل ظلم وجَوْر، وكرب، وخوف، وأمام كل طريق شائك، وعندما تغلبك نفسك والشيطان، فتجد نفسك أسير الخطأ والآثام..

تذكر الله فتنسىٰ كل أحزانك، وتسلو كل همومك، ويشرق من نوره العظيم أمل يحيل ليل يأسك فجراً يضيء درب عمرك من جديد.

١٧ القلم صديق يبقىٰ معك ما دمت تهتمُّ به، القلم أداة تعكس صفحة نفسك على مرآة الورق، فهو رفيق وهبه الله بعض الناس ليحملوه سلاحاً ومناراً يصنع من بؤس قلوبهم وجراحاتها قناديل تضيء دروب السعادة للآخرين.

١٨ تحيَّرت في المظلومين والظَّلَمة في بلادنا، فما ينجو أحد من الوصفين معاً، فالرجل مظلوم وظالم.. والمرأة مظلومة وظالمة، ولا يدفع ثمن ذلك كله إلا الأطفال الذين يشبُّون على الطريق ذاتها.

١٩ في بلادنا يظلم الرجال النساء، فتصبر الكريمة الشريفة ـ وجلٌ نسائنا كريمات شريفات ـ وتدفع حريتها وشبابها ثمناً لإنقاذ أولادها من التشرُّد والضياع.

أما في بلاد الغرب فتقابل المرأة ظلم الرجل بظلم مماثل، ويدفع هنالك الأطفال ثمناً باهظاً جداً من طفولتهم وسعادتهم وسلامة عقولهم وإنسانيتهم.

٢٠ تصورت الأرض بضخامتها وهي تدور كذرّة في هذا الكون الفسيح، ونحن ملتصقون بقشرتها، أصغر من فيروس موجود على سطح تفاحة، ثم رأيت ضياع الإنسان عن درب الله.. سبحان ربي! هل بعد النظر في كتاب السماء المفتوح من برهان على وجود الله؟

٢١ قد نكره بعض الناس لخوفنا منهم، وقد نكره البعض الآخر لنخفي وراء الكراهية حبّاً نعجز عن الاعتراف به، وبين الحب والكراهية اختلفت الأسباب، وبقي الإنسان هو الإنسان.

٢٢ يصعب على المرء أن يعرف ماذا يجب أن يفعل إذا لم يكن مدركاً للأرض التي يضع عليها قدميه.

٢٣ كثيراً ما يتلفّظ المرء تحت ضغوط نفسية بكلمات، وينطق بأقوال، ما كان عقله ليرضىٰ بها لو أنه فكّر قليلاً.

٢٤ تحقيق الآمال سهل ميسور لمن امتلك نفساً عظيمة، وإرادة قوية، وتجاوز الأحزان إلى السعادة الدائمة الكاملة في رضىٰ الله، وهو مستحيل على مَن قُيِّدت حريته، وذُلَّت نفسه، وقُهِر رغم أنفه على الحياة وفق أسلوب لا يتفق مع صفاء روحه وسموِّ مشاعره.

٢٥ لا تتخيَّل كل الناس ملائكة، فتنهار أحلامك، ولا تجعل ثقتك في الناس عمياء لأنك ستبكي ذات يوم على سذاجتك.

٢٦ لا تدع اليأس يستولي عليك، انظر إلى حيث تشرق الشمس كل فجر جديد، لتتعلّم الدرس الذي أراد الله للناس أن يتعلّموه.. إن الغروب لا يحول دون الشروق مرة أخرى في كل صبح جديد.

٢٧ كنت أعلم أن الله ربي..

وذات يوم فاجأني سؤال كريه.. هل الله موجود؟

امتلأت أيامي بالرعب، واضطربت قلقة حائرة، وبتُّ لياليَ لا أستطيع النوم فيها هل الله موجود؟! فإن لم يكن موجوداً؟ فمَن أنا؟ وأين أنا في خارطة هذا الكون بنجومه وكواكبه ومجرَّاته، ودروبه الكونية؟ من أين أتينا نحن البشر بتركيبنا المعجز؟ ولماذا وُلدنا؟ ولماذا نحيا؟ إلى أين سنمضي؟ ولماذا نموت؟ وكيف نموت؟ وهل تكون نهايتي بكل آمالي وآلامي ونهاية البشر بآلامهم وآمالهم.. تراباً!! إذاً لماذا يكدُّون ويتعبون؟

لماذا يحبون ويكرهون؟

لماذا يبنون ويعمرون؟

لماذا يبدعون ويسكبون آلامهم في قوالب جميلة، ولماذا يحزنهم الإخفاق والفشل؟

الخوف يسيطر على العقل كلما تعمَّق في القراءات الفلكية، وأتساءل مَن هو الإنسان في هذا التيه الكوني؟ بل إن كلمة (تيه) تعتبر فاشلة تماماً في وصف حقيقة هذا الكون!!.

ما الأرض إلا ذرّة بل إلكترون في ذرّة من هذا الكون! ما الشمس؟ بل وما المجرّة؟.

أين هي حدود هذا الكون؟ آلاف الأسئلة، ولا إجابة، هل هي الصدفة؟ أم الطبيعة؟ أي قصور

مضحك في عقول أولئك الذين ينادون بالصدفة والطبيعة أرباباً حمقىٰ لهذا الكون؟.

ولأول مرة عشت حالة من الخوف الهائل من البدايات والنهايات، من الفضاء والبحر، ومن نفسي، ومن الناس، وقد كانوا أصدقاء لوجودي قبل أن أسمع هذا السؤال الكريه، وأدركت قيمة الاطمئنان في ظل الإيمان بالله.

نعم إن الله موجود.. مهيمن جبّار مقتدر.. إن الله موجود.

٢٨ ليس العار في أن نسقط، ولكن العار أن لا نستطيع النهوض.

٢٩ السعادة الحقيقية هي أن يفهمك الآخرون، والحب الحقيقي هو أن تُؤثِر على نفسك الآخرين.

والفرح الصافي يولد في أعماقك عندما يصلك الله، فتصغر الأشياء في عينيك حتى لا ترى في غير دربه ملاذاً.

٣٠ الألم يفجِّر الطاقات للإبداع، والإبداع يثير الدهشة والتساؤل، والتساؤل يهدي إلى الإيمان، ومن الإيمان تنبثق الأخلاق ونعرف الحب، وبالحب نبني الحياة، وفي الحياة نتعلّم الألم!.

٣١ لو آمنوا حقاً لرأيت ذلك في أخلاقهم، ولكنهم لم يفهموا حقيقة الإيمان، فاضطرب سلوكهم مع الناس، وأساؤوا إلى أقرب الناس إليهم.

٣٢ الإنسان دون أمل كنباتٍ بلا ماء.
ودون ابتسامة، كوردة دون رائحة.
إنه دون حب كغابة احترق شجرها.
الإنسان دون إيمان، وحش في قطيع لا يرحم.

٣٣ مَن نحن سوى ريش تطاير في مهبّ ريح الحياة؟ وقلوب تنبض بالحب لتسكت بالموت، وذكرى تفتَّحت ساعة ولادة ثم طواها النسيان عند الرحيل.

٣٤ الحزن هو رد الفعل المباشر وغير المسؤول تجاه الأفعال السيئة.
والألم هو الذي يبقى في القلب، ينير المشاعل في درب الحياة، ويدفع الإنسان إلى البناء، بدلاً من اليأس والتدمير.

٣٥ الألم. انطباعة صادقة عن الحزن في النفس الإنسانية، أما الحزن فهو ورم سرطاني ظاهر، دأبت شعوبنا على اجتراره عندما عجزت عن

استخدام آلامها في بناء حاضرها وتغيير المحن التي نزلت بها.

٣٦ الكلمة سهم يسدّده العقل إلى قلوب وعقول الآخرين، فتبني أو تجرح، أو ترشد، أو تقتل.

٣٧ كيف أستطيع أن أكرهكِ وأنت التي زرعتني زهرة في بستان الإيمان، وسقيتني ماء المعرفة، ورعيتني نبتة ـ على الرغم من أنك لم تعطي هذه النبتة حقها من الرعاية، شغلتك نباتات أخرى متطاولة، زاهية الألوان، عنها وعن سواها ـ كيف أكرهك وأنت التي عرَّفتني على ربي؟ فتعلَّمت الحب، وفهمت معنى الحياة، ووجدت مبرِّراً لوجودي، كيف أكرهك؟ لا تتهميني بكراهيتك.. لأن هذا شأن من لا يعرف الزراعة أبداً!.

٣٨ يا رب..

يا من إذا ما أظلم ليل اليأس في قلوبنا، أنار بجلاله ظلام الحزن، وأزاله من نفوسنا.

يا من إذا ما اشتدّ الكرب فرَّج الكرب عن المكروبين.

يا من إذا ما سدَّت طرق النجاة، أرسل سفنه لإنقاذ الغرقىٰ.

يا رب.. يا من به الأمان، وفي رحابه الاستقرار والطمأنينة، وفي ظلّه السلام.

اللهم إذا ابتليتنا فأعنّا على الصبر، وإذا أردت فاجعل إرادتنا رهن مشيئتك، وإذا قضيت فهيِّىء قلوبنا لتقبُّل قضائك.

اللهم أعنّا على الحمد والشكر في السرّاء والضرّاء، ففي الصبر تربية نفوسنا، وفي الشكر اعتراف بنعمك علينا، وانسلاخ من الأنانية والكبر.. وفي كلٍّ خير.

فجُدْ علينا بطيب الأخلاق، وسلامة الصدور، إنك على كل شيء قدير.

٣٩ سألت الليل عن أجمل ساعاته، فقال: ساعة يهرب فيها المحبُّون من العلائق والخلائق، ويتسلَّلون عند السحَر لملاقاة الحبيب الأعظم الذي غفا عنه المحرومون.

٤٠ قال القلم: سأكتب عن حبي لك حتى أفنىٰ فيه.

وقالت الأوراق: أحببت الأيدي التي زيَّنتني بسطور النور من ذكرك.

وقالت الأيدي: سأصنع من أجلك ما يزرع السلام في النفوس.

وأما النفوس فلم تقل شيئاً لأن احتراقها بلهيب الحب، جعلها تعزف عن الأقوال إلى الأفعال الزكية الطيبة.

٤١ إبداع المرأة في بلادنا، سيف ذو حدين، يدمّر حياتها، ويجرح مشاعر الآخرين.

٤٢ الفرح الصافي، مثل الألم الصافي، صادق، حقيقي، لا تمحو الأيام ذكراه أبداً.

٤٣ السعادة هي الاستقرار النفسي والطمأنينة، وأن لا تهمّنا هذه الدنيا بما فيها ومَن فيها، وأن لا نجري وراء أشياء هي في حقيقتها تافهة، لأنها لا تساعدنا في بناء عقولنا، ولا تسهم في تزكية نفوسنا، وليس لها أي دور في تطهير قلوبنا.
السعادة هي البحث عن الحقيقة، لا لمجرد معرفتها، بل لمعرفتها والحياة والموت في سبيلها.

٤٤ ما أرى السعادة إلا في الحرية التي نستمدّها من خلال التزامنا بدين الله الذي يهبنا الأمن، ويسمح لنا بالحركة والإبداع والاجتهاد ضمن حدود الإيمان الذي اخترناه بمحض إرادتنا بعد أن هدانا الله إليه بمنّه وفضله وكرمه.

٤٥ للحرية وجوه عدة، أكثرها التصاقاً بالإنسان أن لا يقيِّد نفسه بإعجاب الآخرين به، أو ازدرائهم له، وأن لا يختنق ذاته في التُّرهات.

٤٦ إن كل ما في الدنيا من آلام وضياع، لا يعادل ألم الابتعاد عن طريق الله بعد أن كان طريقك.
وكل ما في الدنيا من ملذّات وأفراح، لا يعادل فرح المؤمن وسعادته وهو يستشعر كامل حريته في عبوديته لله وحده.

٤٧ مهما حاول الآباء العدل، فإن معظمهم لا يستطيع إخفاء تفضيلهم الذكر على الأنثى، وإن الدلال والميوعة التي ينشأ عليها بعض شبابنا بسبب هذا التفضيل غير السويّ، يجعلان منهم قوة هدّامة في مجتمع لا يعرف أبسط قواعد بناء الإنسان المتَّزن، وإن الله عزّ وجل ما أراد بتفضيل الرجال على النساء هذه الفوضى، وهذا العبث، إنما فضَّل الرجال بالعمل والجد والمكابدة، والتخلُّق بالخُلق الحسن، والتوسُّع على من حولهم لبناء الحياة الحرة الكريمة.

٤٨ الطغاة.. مجموعة كبيرة من الناس، ربما لا يعرف الناس أوصافهم بالدقة المتناهية، ولا

يستطيعون تمييزهم بسهولة، فالطاغية قد يكون مَلِكاً، وقد يكون عبداً، وقد يكون امرأة، وقد يكون رجلاً، وقد يكون مدركاً لطغيانه، أو غير مدرك لذلك.

ولكنه وفي جميع الحالات، ذلك الذي يعطي لنفسه من الحقوق ما لا يسمح لغيره بنوالها.

٤٩ الطغيان لحن جنائزي بغيض، أبىٰ أعداء الإنسان إلا جعله لحناً وطنيّاً لِدُولٍ بنوها على جماجم الشعوب.

٥٠ الإيمان، ذلك البلسم الذي تشفىٰ به جراح القلوب، وتلك القدرة العظيمة لتحويل الناس عن شرورهم، إنه ذلك الذي يجعلنا ننتقل من أنانية آلامنا الذاتية، إلى الشعور بآلام الإنسانية كلها، ويُحولنا من الطواف حول كعبة الأنا، إلى الطواف حول كعبة الخالق مع مجموع لا يسجد لسواه جلّ وعلا.

٥١ إلٰهي...

اللهم تولّني في السرّاء والضرّاء.

وخذ بيدي كيلا أسقط في متاهات الحياة الدنيا.

اللهم لقد عَلِمتُ أنني إذا غرقت في بحر ذنوبي،

فأنت وحدك الذي تشرق على ليل القلوب بالرحمة والمغفرة.

اللهم ما من مجيب يردّ كسر القلوب التائهة سواك، فأسألك برحمتك لخلقك، أن ترحم المسلمين من أنفسهم، وتقيل عثرتهم وتفرِّج عنهم ما أهمَّهم.

٥٢ اللذّات العليا عشرة: التفكير، والاطِّلاع، والإبداع، والجهاد، والحرية، والعطاء، والصدق، والإيثار، وطلب الشهادة في سبيل الله، ثم الفوز بها.

٥٣ إلٰهي...

كنا قبل أن نعرفك ضائعين، فصرنا بعد أن هديتنا إليك مطمئنين، والطمأنينة أساس الحياة الكريمة.

وكنا قبل أن نجد طريقنا إليك يملأ الحزن قلوبنا، فعرفنا في رحابك معنى الفرح الصافي والسكينة.

وكنا غافلين عن مشكلات الإنسان، ومعاناة الخَلق، ففتح الإيمان عقولنا، وجعلنا نستشعر المسؤولية لنعمل حسب طاقتنا لإنقاذ أنفسنا وأمتنا مما نحن فيه، ولا نحقر غرسة نغرسها حتى في يوم القيامة!.

وكنا قبل أن نعرفك ـ يا الله ـ عبيداً لشهواتنا، وتفاهات دنيانا، فصرنا أعزَّة بك، متفتِّحة عقولنا لتروي ظمأها من رحاب كتابك.

وكنا قبل أن نعرفك جبناء، فأصبحنا بعدما أنرتَ بضيائك حلك ليل حياتنا، نطلب الموت لتوهَب لنا الحياة في ظلال عرشك.

٥٤ إن في كل إنسان خيراً مهما كان شريراً، كيف لا وهو من صنع الله.

٥٥ الأسرة المتآلفة المتحابَّة، معجزة حقيقية، لا يدرك هذا المعنى إلا أولئك الذين افتقدوا معاني الأمن والسلام في بيوتهم.

وإن استهتار الناس بقوانين الإسلام، سيفقدهم أعظم نعمة عرفها البشر، وهي الأسرة المسلمة الملتزمة روح الإسلام حقاً، يظلِّلها الحب، ويحكمها النظام، ويقوم بنيانها على التسامح، يظلِّل الجميع فيها الرضى، وتحيا بينهم الطمأنينة.

٥٦ اللهم ربنا يا رحمٰن.. أنت النور، ومنك العطاء، وبك الرجاء.

اللهم أنت العظيم في أسرارك الكونية، وأنت القهّار في القوانين الطبيعية التي خلقتَها.

اللهم أنت الحكيم رحمتنا بالنسيان، وأقمت علينا الحجّة بالموت.

اللهم اجبر عثراتنا، وثبّت قلوبنا، وارحم أنفسنا من أنفسنا، فإنك أرحم بها منّا.

٥٧ أكثر الأشياء بشاعة في هذه الحياة الظلم، وأبشع منه أن تُظلم بعمل جناه غيرك.

٥٨ أنا في نظر الآخرين ـ من أبناء جلدتي ـ مجنون ومتهوّر، ولا أعرف الحياء ما دمت صادقاً في القول والعمل، لا أُرائي أحداً قط ابتغاء مطلب أو منصب ديني أو دنيوي. أنا في نظر الآخرين ـ من أبناء وطني ـ مجنون وقليل الحياء، لأنني لم أستمع إلى موعظة هزّت أوتار روحي إلا وحوّلتها إلى واقع أعيشه.

أنا ـ في نظر بعض المنتسبين إلى الدعوة إلى الله ـ لا أعرف الحياء، لأنني استحييت من نفسي فتوقفت عن النفاق، واستحييت من أمتي فاجتهدت على ضعفي لأضع بصمة في طريق الخلاص، تعذرني يوم القيامة من أن أُحشر مع فئة الذين تقاعسوا وقعدوا مع القاعدين عن عمل أي شيء يحرّرهم من قيود الذلّ والهوان والارتكاس في

الفتن السوداء التي تلفُّ الأمة من أقصاها إلى أقصاها، واستحييت من ربي فطلبت منه أن أحيا في سبيله وأن أموت في سبيله..

أنا.. وكل الغرباء هكذا.. فمَن أنت.

❦ ❦ ❦

ـ ٢ ـ

«قد سئمت العمر سعياً . .

خلف قوم حائرينا . .

في دروب الجهل ساروا يا أساهم ضائعينا . .

فمتى الداعون يوماً . . يبعثون النور فينا . .

كي تعود الأرض روضاً . .

في ظلال المسلمينا . .

ربِّ أدركنا بعون . . أنت عون الصالحينا» .

٥٩ الأخوّة في الله، هي تلك العلاقة السامية التي تبنىٰ على دعائم العقيدة، وتطوي في رحابها كلَّ علاقة أخرى، فتكون كلمات الله هي المؤثّر الوحيد في سلوك ووجدان المسلم تجاه أخيه.. وقلَّ مَن يفهم هذا، وقلَّ من هؤلاء مَن يستطيع العمل بما فهم.

٦٠ لعلَّ انتصار عقولنا فيه هدأة قلوبنا، ولعل انتصار قلوبنا فيه هزيمة لقناعاتنا، فالحمد لله الذي جعل لنا في هذا الدين سعة التوازن بين العقل والقلب، حتى لا يتمزّق الإنسان وهو يمضي في درب الحياة.

٦١ لا عيد بلا فرح، ولا فرح بلا نصر، ولا نصر بلا تعاون، ولا تعاون بلا صدق، ولا صدق بلا

إخلاص، ولا إخلاص دون إيمان بالله وثبات تحت راية الإسلام حتى يظهره الله أو نهلك دونه.

٦٢ الرجل قائد، والمرأة جمهور.
الرجل قلب كبير، والمرأة عواطف ثائرة.
الرجل شمس ساطعة، والمرأة قمر هادىء يظهر ويغيب.
الرجل صديق متفهِّم، والمرأة صديق مخلص.
الرجل جندي محارب، والمرأة فدائي مندفع.

٦٣ «دعوى»
كيف يحكمون شعباً يكرههم، ويدَّعون محبَّته؟
وكيف يسحقون الرؤوس، ويدَّعون العدل؟
وكيف يحاصرون الحرية في كل مكان ثم يدَّعون أنهم يبنون حياة كريمة للإنسان!.

٦٤ لا يمكن للدعوة إلى الله أن تنمو في جوٍّ من التعصُّب والكراهية، ولا أن تثمر في أجواء الأثرة والأنانية وسد الطرق في وجوه الآخرين، دون تعاون وتعاضد ومحبة خالصة في الله.

٦٥ إن لم يسلك الدعاة إلى الله مع الشباب سبل الحب والصدق، ولم يجعلوهم يثقون بأنفسهم

كما يثقون في قياداتهم، ويتناسون أخطاءهم ويتجاوزون كبواتهم، فإن العجز السقيم الذي نراه في الأجيال المتتابعة من الملتزمين بالإسلام سيستمر دون حركة إيجابية بنّاءة.

﴿٦٦﴾ ما أعظم العقيدة تبنيك وأنت في أشد لحظات حياتك انهياراً، وما أعظم الإيمان بالله يعطيك من اليقين ما يثبّتك في أقسىٰ حالات الزلزلة، فيجعلك مطمئناً إلى قدر الله ورحمته.

﴿٦٧﴾ إن أسلم الطرق لإصلاح ما فسد: التأنّي، والتنظيم، والصبر.

﴿٦٨﴾ إذا ما تكاثرت عليك همومك، وازدادت معاناتك يوماً بعد يوم ممّا جنته يداك، وظننت أنك هالك، تذكَّر أن كل ابن آدم خطّاء، وخير الخطّائين التوَّابون.

﴿٦٩﴾ كم تمنيت لو استطعت السيطرة على نفسي، فلا أتفوَّه بكلمة مع أولئك الذين لا يفقهون شيئاً لا يتفق مع ما يريدون.

﴿٧٠﴾ على المرء أن يغتنم كل ساعة من ساعات عمره، فكل ساعة آتية تخبِّىء له ما لا يخطر

على ذهنه من الأعباء والمسؤوليات. عليه أن يتعلّم كيف يأخذ من لحظة الحاضر ما يُنجيه من الندم عليها وهي راحلة إلى عوالم الماضي، وكيف يُنقذ ما يملكه من عقل ومواهب قبل أن لا ينفع الندم.

٧١ حمل البنادق والقنابل سهل ميسور لمن امتلك نفساً جبّارة عظيمة، قد استصغرت الدنيا، وما عادت ترى في غير الشهادة أملاً وسبيلاً.

لكن حمل الشهادات، وبذل الجهود العظيمة في بحث علمي، أو استقصاء أدبي، أو عمل إنساني، أو نشاط تربوي، هو المهمة الجسيمة التي تواجه أولئك الذين حُبسوا في الأرض، لم يكتب الله لهم الشهادة في سبيله، ولعله سبحانه ادّخرهم ليكونوا من أهل الحياة في سبيله، الذين يرفعون راية الإسلام، وتتوقف على جهودهم حياة المسلمين كِراماً أعزّة.

٧٢ الامتحان.. مهما كان جسيماً، سهل ميسور ما دام يوافق هواك، لكنه صعب مرير ما دام لا يتّفق مع ما تهوى، ولو رأته الدنيا كل الدنيا هيّناً يسيراً.

٧٣ إلٰهي. . . هذا ليلك قد أتىٰ، ونجومه قد بدت، وخلقك قد هجعوا، ونسائم جنّاتك تدعو زهر الياسمين، لينشر عطره فوق هامات القائمين بين يديك في هذا السحَر، وأنت يا الله قد نزلت إلى السماء الدنيا، تستقبل أهل محبتك، وتسمع الدعاء. . اللهم أجب نداءنا. .

اللهم على لهيب جمر الجفاء والذنوب نحترق، وإنك بنا راحم، فلا تحرمنا عفوك. . يا الله.

٧٤ العلائق. . والوشائج، آخذة من هذا القلب السقيم كل مأخذ، فهل من منقذ له سوى الخلوة مع الله، وتوبة نصوح، وانعتاق من صحبة هؤلاء الذين تُبعد رؤيتهم المرء عن ربه أشواطاً وأشواطاً. . أهل القيل والقال، أهل الأنا والمراءاة، أهل التكبُّر وغمط الناس أشياءهم.

٧٥ كم رأيت من المنتسبين إلى الإسلام، يدَّعون الجهاد في سبيل الله، وهم يجاهدون في سبيل الحركة التي إليها ينتمون، ويجدُّون ويجتهدون من أجل نصرة شيخهم، وهم يتوهَّمون أنما يفعلون ذلك لوجه الله تعالى.

كم سمعت من أمثال هؤلاء نصحَهم للناس

بالابتعاد عن التعصُّب، والتعصُّب متلبِّس بهم تلبُّس الروح بالجسد ما دام حيّاً.

﴿٧٦﴾ كلمة واحدة مهرها النفوس.. "لا".

﴿٧٧﴾ ما أتعس الذين لا يعرفون الله، وما أتعس الذين أشركوا بالله، وما أتعس ذوي العقائد المشوَّهة، يعملون عمل المؤمنين، وجوههم عاملة ناصبة تتوجّه إلى إلٰه، أو آلهة، اخترعوها من عند أنفسهم.

وما أتعس أعداء الله وهم يحاربون المؤمنين.

وما أتعس الإنسان، وهو يكابد الحياة وتكابده، منصرف عن درب الله، قد صعَّر خدّه، وصمَّ أذنيه عن الحق الظاهر.

وأتعس من هؤلاء جميعاً مؤمن يشعر أن الله يمقته ويُبعده بعدما قصَّر في العمل بما علم.

﴿٧٨﴾ كيف يمكن لهذه الأمة أن تنهض من عثراتها، إن لم يشعر كل مسلم فيها بثقل المسؤولية تجاه هذه المهمة، فلا يعرف الشيخوخة أبداً.. يكون جديداً حتى في قِدَمه، متطوِّراً على الرغم من ثباته، رسالة مفتوحة إلى مجتمعات أغلقت أبوابها في وجه الحق والهدى.

أنّى لنا بمثل هؤلاء يشرقون كالشموس على حياتنا الرتيبة، ويملؤونها بحياة حقيقية سامية، بالأمل والرغبة في العمل من أجل الخلاص؟.

﴿٧٩﴾ خذوا مني كل شيء وأعطوني صلة بالله، فلا يُعرف عز الطّاعة إلا بذلّ المعصية، ولا يَعرف نعيم الصلة بالله إلا مَن ذاق ألم البعد عنه.

﴿٨٠﴾ ربما سرتَ ذات يوم تبحث عن الحق، لكنك وقعت في الشبهات، وربما أردتَ الإصلاح لكنك أفسدت نفسك، وربما أحببتَ أن تجاهد لكن كل سهامك عادت إلى قلبك.

لكنك مسلم ولا يجب أن يعرف اليأس إلى روحك سبيلاً، ارفع رأسك، وقل: أستغفر الله، ثم امضِ في طريقك ولا تبالِ.

﴿٨١﴾ أعظم ما في الأمر أن تكون غريقاً.

وأعظم من ذلك أن لا تستطيع النجاة.

وأعظم من ذلك كله أن لا يستطيع إنقاذك كلُّ الذين يجيدون السباحة، يقفون عند الشاطىء، بعضهم ينظر، وبعضهم يخاف إبداء أية حركة إيجابية، والبعض الآخر قد أداروا ظهورهم ومضوا إلى حيث أولئك الذين لا يغرقون!.. لكن..

تذكَّر الله، تذكَّر أن الله لا ينسىٰ من فضله أحداً، تنقذ نفسك من الغرق وتنجُ.

٨٢ كثيرون أولئك الذين لا يفهمون عنك إلا ما يريدون، وينقلون من ذلك ما يشتهون، ويشهِّرون بك وسط الناس.. ولا علم لك بما أحدثوه، ولا بشيء مما فعلوه.

٨٣ ما أروع أن نعترف بأخطائنا، ونصحّح زلاّتنا، ونستغفر الله، وأن نتَّبع قادتنا عن ثقة، ونؤمن بطريقنا الذي نسير فيه عن حب وثبات، وما أقبح أن يأسر الناس بعضهم بعضاً في أخطائهم ولا يتجاوزون عن الإساءة ولا يدفعون بالتي هي أحسن.
وأقبح من ذلك أن يصدر مثل هذا الفعل عن داعية إلى الله في حق تلاميذه وأتباعه.

٨٤ عرفت الآلام فما أشد تألُّم الذين جفاهم الله بعد صلة به وقربى.
وعرفت الجراح فما علمت جرحاً أشد على المرء من سوء فهم الآخرين له.
ورأيت السيوف فما وجدت سيفاً أمضى من خيانة المسلم لأخيه ولو بنظرة.. ولو أن يُفشي له سرّاً.

وتعلّمت الصبر.. فما أحسست بأمرَّ منه، خاصة إذا كنت مظلوماً.

٨٥ أهون بكثير أن أترك أمراً قد اختلف فيه الفقهاء وأنا مطمئن إلى تطبيق ما عُرف من الدين بالضرورة، راضٍ بحكم الله فيَّ، مستسلم لأوامره ونواهيه، يرفرف السلام على روحي، من أن أشتدّ على نفسي فألزمها جزئية مختلف عليها تدمّر الرضىٰ في يقيني، وتقضّ مضجعي، وتشعرني بثقل أوامر الشريعة في نفسي.

٨٦ قد يحجم المرء عن طاعة يريدها له ربُّه، عندما تسوّل له نفسه أنه بصدد معصية لا ينبغي له أن يتجاوزها إلى طاعة تقرّبه من الله، تلك هي أبواب الرحمٰن التي ندخل من خلالها إلى بساتين الشوك الشيطانية.

٨٧ ليس سوى أن تخطو إلى الأمام خطوة واحدة، حتى تجد الله عزّ وجل قد أنفذ إليك عفوه ومغفرته ورحمته، ويسّر لك سبل السلامة من كل همّ وغمّ وشرّ يحدق بك.

٨٨ إياك أن تطلع اللئيم على سرّك فيفضحك.

وإياك أن تودّ مَن يخادعك فتهين نفسك.
وإياك أن تقابل مَن يحبك بالجفاء، فتضيّع فرصتك وتخسر قلباً نادر الوجود.

٨٩ لو لم تكن الأشجار مثمرة لما ضُربت بالأحجار، بعض تلك الإصابات ليستفيد الناس من ثمرها، والبعض الآخر حقداً وحسداً وبغضاً ورياءاً.

٩٠ تعلَّمْ كيف تستنبت من آلامك طاقة مخلصة تدفعك في طريق الصواب لتعمل وتعمل دون أن تدع اليأس يستعبدك ويثنيك عن المضي إلى الأمام.

٩١ قبَّح الله أولئك الذين يستخدمون سلاح السلطة ليدمِّروا براءة الأطفال، وحرية الشعوب، والحق الذي تقوم عليه الأمم.

٩٢ ما أظن السلم إلا أربعة أشياء: عمل خالص صواب في الدنيا، وشهادة في سبيل الله عند الموت، وظل الله يوم البعث، والجنة بعد الحساب.

٩٣ الحقُّ مخيف لكنه عادل، ومرٌّ لكنه تستقيم به الحياة، ومخيِّب لبعض الآمال المنحرفة لكنه يكفل السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة.

٩٤ ما دمنا نحبّ طريقنا ونجاهد في سبيل الله، ونأمل في غدٍ مشرق بوعد ربنا لنا، فلن تخبو نارنا، تلك التي نوقدها بحب الله، ونذكِّيها بنور كتابه العظيم، ونسمو بها بجناحَي الأمل به.

٩٥ أعطني أرضاً لا يُحارب فيها الإسلام، ولا يسيء المسلمون فيها إلى أنفسهم وإسلامهم، وخذ شباباً طاهراً صافياً، وإنساناً متوازناً كريماً، وفتحاً مبيناً قريباً.

٩٦ اللهم ثبّتنا على حبك وحبِّ مَن يحبك، وحب عمل صالح يقرّبنا إليك، وألِّف اللهمَّ بين قلوبنا على البرّ والتقوى والجهاد، وارحمنا من الإثم والعدوان والتخاذل وحب القعود والركون إلى الدنيا، والاطمئنان إلى أعدائك.. إنك خير من سُئل، وأعظم من أجاب.

٩٧ استصغار الجاهل، وتعييره بجهله يثير فيه حب الأنا والانتصار لنفسه، فيعمد إلى الدفاع عنها دون أن يحاول فهم شيء مما يُقالُ له.

٩٨ التسامح مع أهله برّ، والتسامح مع من لا يفيد التسامح معهم حمق، وأي حمق.

٩٩ سبحانك...
أعوذ بك من كل ما لا تحبُّ ولا ترضىٰ.
أعوذ بك من كل حاسد وحاقد وظالم.
أعوذ بك مما أنزلته بي مما لا أستطيع دفعه من قدرك.
أعوذ بك منك، لا أحصي ثناءً عليك لوفرة نعمك، وقلّة حيلتي في أداء شكرها، أنت ربي لا إله إلا أنت سبحانك.. تباركت وتعاليت إنك أنت العزيز الرحيم.

١٠٠ قد تسقي الورد مياه كثيرة، وأبداً لا ينسىٰ الورد طعم الماء الذي أحياه بعد موت.

١٠١ اللهم..
إنك تسمع الدعاء، ففرّج كربنا، وارفع الظلم عنا، وأول ذلك ظلمنا لأنفسنا بالارتكاس في حمأة الدنيا، وقيل وقال، وآفات ألسنتنا.
اللهم انزع بفضلك حبَّ الدنيا من قلوبنا، وحبِّب إلينا الإيمان والجهاد في سبيلك، واشرح صدورنا، واجعل رضاك منتهىٰ آمالنا.
اللهم أعذنا بك من الوهن واليأس والحقد، وباعد بيننا وبين الكراهية.

وارزقنا عزماً صادقاً، وتسامحاً، وحبّاً صافياً في الله.

اللهم اجعلنا من الذين يرضَوْن بقضاء الله فيهم ولا يجدون حرجاً مما قضى ويسلّموا تسليماً.

١٠٢ كيف يكره المسلم أخاه بسبب اختلاف جماعتيهما، بينما لا تهزّه جرائم القتل والتعذيب التي تُرتكب ضد المسلمين، دون أن يسأل عدوهم عن جماعتهم ولا عن شيخهم؟!!.

١٠٣ يا حي.. يا قيوم.

كم استغثت برحمتك، ولم أيأس من الإجابة، ولن أيأس مهما طال الزمن.

١٠٤ كنت أبكي كلما ودّعتُ صديقاً، فعلَّمَتْني الأيام أن أفرح كلما ودّعتُ أخاً في الله لم أختلف معه بعد، لأنني أوقن أنني تركتُ ذكرى طيبة لن تمحىٰ حتى يكون لقاؤنا في ظل عرش الله.

١٠٥ من الاختلاف والنقاش تتولّد دائماً رؤية جديدة، وليست مشكلة أن يختلف أخوان في الله، لكنها مصيبة أن يُخضع الإخوة في الله نقاشاتهم الفكرية، واختلافاتهم الحركية لأهواء جامحة

زرعها الشيطان فيما بينهم وأغراهم بالعداوة والبغضاء ومعصية الرسول ليصدَّهم عن سبيل الله.

﴿١٠٦﴾ هل يمكن نعاقل أن يصدِّق أن الذين يُعذِّبون الناس في السجون لياليَ طويلة، يحرمونهم فيها النوم والطعام، ويَرَوْنهم وهم يَتَلوّون بين أيديهم وتحت أقدامهم، هل يمكن لعاقل أن يقول إن هؤلاء بشر؟!.

﴿١٠٧﴾ إن الذنب العظيم الذي ترتكبه الشعوب بخنوعها، يدفع ضريبته الأحرار من راحتهم وحريتهم ودمائهم.

﴿١٠٨﴾ عندما تتمزّق الخلايا السطحية إثر جرح أصاب الجسم، فإن ما بلي منها يتساقط، وقسم كبير يبدأ بصراع عنيف مع ما دخل الجسم من جراثيم، وينتهي الصراع بموت الدخيل، أو موت الخليّة، إلا تلك الخلايا القوية السليمة، تبقى وتثبت لأن مثلها لا يتهاوى رغم الجراح. ذلك مثل الفرد في الجماعة.. يستمد قوّته عند المحن من الصدق والإخلاص والتمسُّك بحبل الله المتين.

﴿١٠٩﴾ سألت نفسي لماذا لا نصل إلى أهدافنا رغم كثرة

الدعاة إلى الله، والحركات الإسلامية العاملة؟ ولما عاينتُ وعانيتُ الأخلاق التي ما زالت في صفوف المسلمين دون أن نخضعها لدين الله ليشذِّبها ويهذِّبها.. ولما رأيت التمزق والتناحر فيما بين الدعاة، وصغائر الذنوب التي لا نأبه لها وهي تدكّ البنيان من القواعد، وكثرة التشدُّق واللافتات، وقلّة العمل والثبات، وتحقير بعضهم بعضاً، وقصّ أجنحة الذين يحاولون الطيران منهم، وكراهية الموت، وعشق الدنيا والأموال والشهوات، وسوء الفهم، وقبح التطبيق، وعدم الالتزام إلا بما يتوافق مع الهوى.

عندما رأيتُ ذلك كله.. أَنسَيْتُ نفسي سؤالها!!.

١١٠ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ
ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ
أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا
سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ
بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾﴾[1].

تفكّرت في هذه الآيات التي نزلت في أشد الكفار

---

(١) المؤمنون: ٢٣ ـ ٢٥.

وأعتاهم مع واحد من أولي العزم من الأنبياء، وقرأتها وأعدتها مراراً. . فوجدت في نفسي العزاء من بعض المحسوبين على الإسلام من بني جلدتنا، كلما جاءهم داعية إلى الله قالوا: هذا مثلنا، ولعله إن أتانا مَن هو أكبر سناً وأعظم قدراً سمحنا له بالعمل الإسلامي.

وكلما رأوا أخاً ينشط في تجميع الناس على كتاب الله قالوا: إنما هو طالب رئاسة وزعامة، وليسَ إلا قليلاً حتى يقولوا عنه مجنون أو عصبي أو سيىء الأخلاق.

لقد رأيت في بعض المنتسبين إلى الإسلام من بني جلدتنا مَن حاربنا ونحن نبغي وجه الله، وأحكم الحصار علينا بكل وسيلة ممكنة، فما وجدتهم أقل حالاً ممن قال فيهم رب العالمين: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[1] بعد أن حكَّموا في أنفسهم الهوى فزيَّن لهم الشيطان أن يحاربوا الذين قالوا ربنا الله، كما يحاربهم أعداء الله الكفرة المجرمون.

١١١ لن توقف الصعاب جند الله، وإن زلزلتهم

---

(١) الأعراف: ٤٥.

الخطوب، لأن الهامات التي لا تسجد لغير الله، لا تهين نفسها بالذلِّ بين يدَي طاغوت صغير أو كبير، بعيد أو قريب.

١١٢ يا رب...

يا رب أعطنا فرحاً وهناءاً وقدرةً على تجاوز الآلام.

يا رب أعطنا سلاماً وأمناً يُنسياننا ما نحن فيه من كبد.

يا رب أعطنا دفعاً إلى العمل الصواب الخالص لوجهك، يضفي على أعمارنا ووجودنا في هذه الأرض معنى.

يا رب أعطنا راحة لعقولنا ورحمة لقلوبنا.

يا رب أعطنا إخوة في الله، حقيقتهم الصدق، وقلوبهم ملأى بالإخلاص، ولا يحبُّون النفاق ولا التدابر ولا المراء ولا التكبُّر ولا غمط الناس حقوقهم.. لنحيا بهم ومعهم جنة الدنيا ثم جنة الآخرة.

يا رب أعطنا مواقع الجهاد لعلنا نفوز بمراتب الشهداء.. ثم لا نبالي.

١١٣ اللهم اجعلني راضياً بما قسمتَ لي، قانعاً بنصيبي من دون الخلق.

اللهم اجعلني متواضعاً بين خلقك لا متكبِّراً عليهم، مثنياً على عطائك، لا حاقداً بسبب امتناعه عني، اللهم طهِّرني من الحسد، وطهِّرني من البهتان، وطهِّرني من غمط الناس حقوقهم.

اللهم ارزقني القدرة على الاعتراف بالخطأ ورأسي مرفوع، لأن المسلم لا يخاف إلا الله، ولا يكبّله إلا ذنبه، فإن تاب تحرَّر من كل قيد دنيوي آخر.

﴿١١٤﴾ ليت الدعاة إلى الله ينزلون إلى أوساط الشعب، ويلمسون بأنفسهم وتجاربهم الخاصة عمق مأساتنا في أنفسنا، وإلى أي مدى وصل ارتكاس الناس في حمأة الدنيا، والتدهور الأخلاقي، والفسق والعصيان.

ليتهم ينزلون من أبراجهم النفسية واستعلائهم الفكري!؟ ولو أنهم نزلوا إلى أوساط الشعب لحصلت ثورة حقيقية في عالم الدعوة إلى الله، غيَّرت كل أساليب الدعاة الحالية التي ما فتئوا قائمين عليها نصف قرن من الزمان، وسيبقَوْن كذلك ما دامت هذه الأبراج حاجزاً حقيقياً بينهم وبين الجماهير وآلامها وآمالها.

﴿١١٥﴾ الداعية الذي يخالط الناس، يناله من الأذى ما لا

يُحصر، يستوي في إيذائه الجاهل والعاقل، والأخ في الله والعدو اللدود.. صدق رسول الله ﷺ: **«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير وأحبُّ إلى الله من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».**

١١٦ يا رب...

إنك لم تعطنا إلا فوق ما نستحقُّ من كرمك.

ولم تحرمنا إلا أقل ما نستحقُّ من عقوبتك.

ولقد خلقتنا وأنت العليم بنا، وأنت الحكيم الذي يختار لكل مخلوق ما ينفعه، فيعطيه أو يحرمه.

يا رحمٰن.. ارحمنا في أحوالنا كلها، وأنِر ظلمات دنيانا بفيض رحمتك.

١١٧ الأخ جدار نستند إليه، وقد نسند إليه كل أخطائنا!!.

١١٨ لن تجد في الحياة شيئين: أماناً واستقراراً، ولن تجد عند الموت فرصة لاختبار آخر، ولا عودة إلى الوراء.

ولن تجد في صادق صفتين: طلب الراحة، والرضىٰ عن الظالمين.

﴿١١٩﴾ يحبُّ المجاهدون من الدنيا ستة أشياء: قيام الليل، وحضور مجالس العلم، والصيام، والجهاد في سبيل الله بكل وسيلة، والإخلاص في الأعمال، وطلب الشهادة في سبيل الله.

﴿١٢٠﴾ أحياناً تكون المحنة منحة، وقد تكون المنحة والعطاء محنة.

﴿١٢١﴾ لماذا يَضيع مسلم ملتزم عرف ربه والتزم دينه؟ ما كان الإسلام ليضيِّع الإنسان، لكن إنساناً ضيَّع آخر.. الأول قائد متعصّب والثاني جندي أحمق!.

﴿١٢٢﴾ سألتهم: لماذا أنتم متعصّبون؟
قالوا: لأننا على حق!.
وسألت الحق: لماذا أنت بريء منهم؟؟.
قال: لأنهم متعصّبون!.

﴿١٢٣﴾ كلما خابت آمالنا عمدنا إلى فلسفات خاصة، تُبرز فشلنا في بناء حياتنا الخاصة، دون أن نذكر ولو لمرة واحدة، أن فشلنا سببه الكسل والإهمال والحمق، وعدم الاستماع إلى نصائح الذين يحسنون النصيحة، والذين هم أهل لها.

١٢٤ كيف يريدون للحرية أن تحيا في السجن، وللقلم أن يحيا دون حرية، وللروح أن تحلّق في المُستنقعات، وللفكر أن ينطلق في أجواء مشحونة بالبغضاء والشحناء!؟.

١٢٥ أرى في علاقات الناس من حولي عجباً، فهناك الأخ الصديق الذي يضطر المرء لمداراته في السرّاء والضرّاء ليُبقي عليه.

وهناك الصديق الذي لا يمكنه أن يكون أخاً، والأخ الذي يعجزه أن يكون صديقاً.

ورأيت من الإخْوَةِ في الدم، وفي الله مَن ينقلب عدوّاً.

وقد يكون الزوجان صديقين وفيَّين، وقد يعيشان العمر كله عدوَّيْن لا يعرف أيٌّ منهما طعماً للأمن والطمأنينة في جوار صاحبه.

ولعل الولد يكون شوكة في حلق أبيه، وربما كان الأب جداراً يسدّ كل المنافذ أمام ولده.

ورأيت من النساء من ظلمها زوجها حتى صارت كالأمة المسحوقة المكرَهة في بيته، ومنهن من ظلمت زوجها وسيطرت عليه حتى ما ينطق إلا بما تنطق به ولا يصدر إلا عنها بكل رأي وفعل، فجعلته سُخْرِيّاً!.

لو فهم هؤلاء دينهم شرعاً وقرآناً وحديثاً، وتعلّموا

سنّة نبيهم، وأدركوا معاني النصوص كما أدركوا معاني أفعاله عليه الصلاة والسلام، ما وصلوا إلى كل هذه الآلام.

ـ ٣ ـ

«يا أخي..
حطّم القيد وهيّا..
نملأ الكون دويّاً..
سوف نمضي نزحم الدرب السويّا..
نحو ساحات الجهاد..
وننادي كلنا.. الله أكبر».

﴿١٣٦﴾ إن هؤلاء الإخوة الذين امتحنهم الله بالسجن، وهم أبرياء مغرَّر بهم، ليسوا إلا طلائع فجر الحرية، يربّيهم الله في سجن يوسف عليه السلام، الذي اختار الهدى على الهوى، والحقَّ على الباطل، والسجن الصغير على سجن الذنب الذي يأسر الروح، وهل أعظم ذنباً عند الله من إعطاء الدنيّة في الدين، وفسح المجال للمفسدين أن يعيثوا فساداً في الأعراض والكرامة؟!.

﴿١٣٧﴾ إن العدو الحقيقي للمسلم الذي يريد أن يعمل في سبيل الله، ذلك الذي يثبّط عزيمته في كل مرة يريد بها أن يخطو خطوة إلى الأمام، فيلوّن له المستقبل بلون أسود، ويتحفه بالفتاوى التي تجعله في صف القاعدين، فإن رآه متحرّقاً متوفّزاً لنصرة الإسلام حقَّر حرقته هذه، وإن رآه داعياً إلى الله

حسب طاقته، اتّهم فيه دعوته وسخر منها.. إن مثل هؤلاء أعظم جرماً من أولئك الذين يحاربون الإسلام جهاراً نهاراً بكل ما أُوتوا من قوة.

﴿١٢٨﴾ علّمتني الأيام أن لا أذُمّ داعياً إلى الله ـ والنقد غير الذم ـ ولو لم أنقده لغششته، وقلَّ في هؤلاء من يفهم هذه المسألة على وجهها السليم.

وعلّمتني الأيام أن لا أضع أملي إلا في الله وحده.

وعلّمتني أن أعمل وأتخلّق بخلق الإسلام ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

وعلّمتني أن أجاهد في سبيل الله مهما كانت العقبات التي تواجه الدعوة إلى الله، أو تواجهني.

﴿١٢٩﴾ كانت ذات يوم أمّاً...

ولما دخل ابنها في قافلة محمد ﷺ، وامتُحن في الله، وباع الله دمه ونفسه وماله، صارت أمه نجماً.

﴿١٣٠﴾ بلدي..

بلدي بلد يُسحق فيه الإنسان، ويُعتدى فيه على أبسط حقوقه المادية والمعنوية.

ويسقط فيه، في كل يوم شهيد..

بلد يحمل الشباب فيه آمالهم في مَحافِظ السفر، ويهاجرون بحثاً عن الكرامة والإنسانية.

بلدي.. بلد تُعتقل فيه الأمهات لأن الأبناء اختاروا الموت الشريف على العيش في ظل السياط والإرهاب، وتُغتصب فيه أخوات وزوجات الأحرار، ويُعتدى فيه على الشرف والحرية والمال!.

لا تسألوني عن بلدي، إنه ذلك الذي اختار الناس فيه أن يعيشوا راكعين، ويموتوا راكعين.. ولكن لشهواتهم وجاهليتهم وأنانيتهم والكراهية التي تملأ صدورهم.

﴿١٣١﴾ أودُّ لو كانت أوراق الشجر كلها سطوراً لأكتب عليها (لا إله إلا الله).

ولو كان البحر مداداً لأكتب به (لا إله إلا الله).

ولو أن حقيقة الإسلام دخلت كل قلب ليسعد بقول (لا إله إلا الله).

﴿١٣٢﴾ ماذا تعني الدعوة إلى الله إن لم تكن عملاً دؤوباً لإعادة تشكيل العقل العربي، الغارق اليوم في العادات والتقاليد التي تمنع نموَّ الأفراد والجماعات، وتحول بيننا وبين النور والحرية

والحق والعدل والانطلاق نحو المستقبل، ماذا تعني الدعوة إلى الله إن لم تكن جهوداً مكثَّفة يبذلها تربويُّون مختصُّون لمساعدة الإنسان على الانخلاع من ربقة العصبيات والجاهليات وأوتاد الخيمة التي ارتبطنا بها منذ حدث ذلك الشقاق القبيح بيننا وبين روح الرسالة الإلهية، ماذا تعني الدعوة إلى الله ما لم تكن جهداً متواصلاً مصابراً لبعث الحياة في قلوب كاد يقتلها اليأس والاستسلام للواقع الكئيب، والوهن والارتكاس في مستنقعات الجهل المضاعف، والانغلاق على تراث الآباء والأجداد، دونما تبصُّر ولا مراجعة ولا تمحيص ولا تفكير، ماذا تعني الدعوة إلى الله ما لم تكن دعوة جريئة لنصرة الإنسان في معركته مع نفسه ومع مجتمعه ومع الظالمين.

١٣٣ اللهم اجعل القرآن العظيم نور قلوبنا، وضياءً في سبل حياتنا لتستقيم.

واجعل مع الجهد الصواب، ومع السعي الصبر، ومع البذل الإخلاص.. يا الله.

١٣٤ أيها الدافنون في التراب رؤوسكم، ارفعوها فقد آن لحبّات القمح أن تنتش، والحبة لا تنتش إلا

إذا دُفنت في التراب، ولكن إلى حين، فإذا طال سباتها فهي ميتة لا محالة.

﴿١٣٥﴾ الحياة امتحان صعب للغاية، والإيمان شيء عظيم، ولا يمكن تذليل هذا الصعب إلا بذلك العظيم.

﴿١٣٦﴾ عجباً لتلك الشعوب التي أحنت مأساتها ظهورَها وحفرت تجاعيد الألم في وجوه رجالها، كيف لم تستطع تلك المأساة اقتلاع الوهن من نفوس هؤلاء الرجال؟!.

﴿١٣٧﴾ مَن خاف الموت اشتدت لهفته للعمل، ومَن أيقن بالحياة الأخرى عمل بجدٍّ في هذه الحياة، وصرف طاقته للبناء قبل أن تفوته الفرصة.

﴿١٣٨﴾ إنه لا يستطيع أن يبرهن على إخلاصه الكامل إلا ذلك الذي يكون في مكان القيادة والرياسة، كما يكون في موضع الجندية والحراسة.

﴿١٣٩﴾ إن كتاب الله لن يقوم بدوره الأكمل في قيادة الإنسانية، وقد تفرَّق عليه الناس من بعد ما جاءتهم البيّنات، دون أن يعتبروا بما أصاب اليهود من قبل.

وإن هذه الأمة لن يعاد بناؤها إلا بوحدة الصف والكلمة، وبناء المسلم المتوازن الذي لا يعرف التعصُّب ولا التشتُّت ولا التهوُّر ولا التقوقع.

﴿١٤٠﴾ الإيمان الحقيقي يدعوك أن تفرح كلما رأيت مسلماً يضع لبنة في البناء، مسلماً أيّاً كان انتماؤه.

﴿١٤١﴾ كلما ازداد الناس كذباً، ازددت تشبثاً بصدقي، وكلما ازداد الناس إساءة ازددت عملاً للخير.
وكلما ازدادوا حسداً وحقداً وبغضاً، ازددت تسامحاً وحبّاً.
وكلما صمّموا على رفع السدود في وجهي، ازددت تشبثاً بطريقي وعناداً في الثبات عليه.

﴿١٤٢﴾ لماذا نهدم آمال الناس؟ لماذا دائماً يسعى الناس إلى زراعة الدموع في عيون الآخرين، ويصرُّون على تخريب سعادتهم؟.
ليتنا نستطيع أن نتعلّم الحب، لنطرد الكراهية من كل القلوب.

﴿١٤٣﴾ علينا أن نتعلّم أن الحب يعني التضحية، والعرفان بالجميل والتسامح، والإيثار، وأن نتعلّم كيف نكافىء الذين أحبُّونا في الله، فهؤلاء الذين تثمر

أخوَّتنا لهم منابر من نور في ظلِّ عرش الله يوم لا ظلَّ إلا ظلّه.

﴿١٤٤﴾ ارفعوا السدود، وأحكموا بناءها، وأوقفوا حركة النور والحق، قد يزعجنا دبيبكم على الأرض، لكننا سنبقى ثابتين على ديننا الذي ارتضاه الله لنا، ولو كره الحاقدون والكافرون.

﴿١٤٥﴾ المهم هو أن تثير كلماتي تفكيرك، وأن تثير كلماتك تفكيري، حتى لو اختلفنا في الرأي، فما دمنا نلتزم أدب الخلاف، فلن تكون نتيجة خلافنا إلا ثروة فكرية، وعملاً فاعلاً صواباً، ورضى من الله يغمر أرواح الذين يخشون الله في أخوَّتهم في كل حين.

﴿١٤٦﴾ طريق الإسلام هذه.. طريق دلَّنا الله عليها بفضل منه لا باجتهادنا، وبرحمته لا بعمل عملناه، وبمنّه وكرمه لا بمزايانا.. وسنسلكها رغم أنف الحاقدين، وصغار الآدميين من الجهلة والموبوئين فكريّاً، الذين يحاولون إثناءنا عن المضيِّ فيها، بكل ما تتفتّق عنه أذهانهم القاصرة من أفكار غير سويّة، وما ينتج عنها من سلوكيات مضطربة يشاقّون فيها الله ورسولَه وكلَّ مَن أراد اتباعهما،

لا أفرّق في ذلك بين عدو حاقد، وبين مسلم حاسد محسوب على الإسلام وأهله، يسيء بجهله وتكبُّره أضعاف إساءة الحاقدين!.

١٤٧ أن تقف كل السدود في وجوهنا، لا نتزلزل لأن ذلك جهاد في سبيل الله، أما أن يقف مسلم - محسوب على الإسلام وأهله - وراء ظهورنا ليطعننا من الخلف، فتلك خيانة للإسلام تنقض بنياناً وتثبط عزائمَ!.

١٤٨ «عيد»

العيد للفرح.. ولا فرح في أعيادنا، فأولادنا وراء القضبان، وفي كل بيت رنّة وعويل.

أين عيدنا الذي ضاع، وخلف الحزن في عيون أطفالنا؟ وكيف تعود أعيادنا، وقد ركنّا إلى الدنيا، نجترّ الذنوب، ورضينا بعادات كريهة تحكم مجتمعاتنا، ونسينا الكرامة والشرف والغَيْرة، ونصرة أنفسنا وإخواننا؟!.

استوت عندنا الأفراح والأحزان، وتبلّدت أحاسيسنا ففقدنا الشعور بالمسؤولية واستسلمنا إلى نوم عميق.. فارتفع شخيرنا حتى ضجّت منه شعوب الأرض!.

﴿١٤٩﴾ ربما جاهدتُ كثيراً، وزرعت البذور في أرض مجدبة، فلم تنبت ولم تطرح سنابلها قمحاً، ثم رأيت الورد يزهر في أرض قاصية، ما كنت لأظنها تطرح ثمراً، ذلك نصرٌ من الله، ولو أن أرضي كانت عقيمة.

﴿١٥٠﴾ عندما أقرأ كتاباً مرتين، أزداد ثقافة، وقدرة على التركيز، وعمقاً في الفكر.

وتساءلت، كم من المرّات قرأت القرآن؟!.

فلو قرأناه كما هو كلمات الله التامات، ودستوراً للحياة، وطريقاً آمناً للآخرة، لما وصلت أمتنا إلى حالة الغثاء هذه!.

﴿١٥١﴾ قرأ الصحابة رضوان الله عليهم كتاب الله، وتلقَّوه بعقول واعية وقلوب مؤمنة.. وأنفس متشوقة إلى التغيير والإصلاح.. فكانوا رادة.. وصرنا إلى ما نحن فيه من غثاء.

وبنىٰ الصحابة صرح حضارة، وشعوبنا لا عمل لها اليوم إلا التدمير على كل مستوى.

وتسامىٰ أولئك، وما زلنا ننحدر نحو الحضيض، واستشهدوا لتوهب لهم الحياة الخالدة في جنان الله، وبعضنا يموت كل يوم ألف مرة من

أجل شيء فانٍ من متاع هذه الدنيا.

١٥٢ شعوب يتمزّق بناؤها الاجتماعي، ويشوّه تاريخها المضيء، ويتهدّد مستقبلها بالإعدام.. دون أن تحرك ساكناً.. وإن تحركت لم تكن أعمالها صواباً، ولا نيّاتها خالصة لوجه الله.. شعوب هذه حالها كيف يمكنها أن تنتصر؟

١٥٣ الحب.. عاطفة إن تجردت عن العقل صارت جنوناً، وكم من الناس بحاجة إلى ذلك الجنون، يثير فيهم روح الحياة، وثورة الوجدان، وإرادة العمل، لجذب في قلوبهم، وقحط في أرواحهم.

١٥٤ تحسُّس أحدنا تجاه مواقف الآخرين، يعني أنه موجود.

وشدة الحساسية ينبوع للإبداع في النفس الإنسانية، لكن انقلاب الحساسية إلى مقياس لأخطاء إخواننا والذين من حولنا، بلاء مرير يزرع الشحناء والبغضاء، ويعمينا عن فضيلة التسامح.

١٥٥ عجبت لصداقة سنين تمحوها جهالة ساعة.

وعجبت لأخوّة في الله تنهار بسبب سوء تفاهم.

وعجبت للحب يموت في دقائق وقد استمرت ولادته أعواماً.

﴿١٥٦﴾ لماذا يبخل الأخ الصديق بقليل من التسامح، وقد عاش مع أخيه ساعات مليئة بالحب والإخلاص، والعطاء الأخوي الذي يتجاوز عطاءات المادة إلى عطاءات الروح؟!.

﴿١٥٧﴾ إذا كنت تبحث عن أخطائي لتبرّر بها غضبك، فأين حبك لي الذي كنتَ تتشدّق به في كل حين.

﴿١٥٨﴾ الحب لا يسقط عند الامتحان الأول، ولا الثاني، ولا المائة، لأن الحب يدعو إلى التسامح ثم التعقُّل لإعادة الحساب مرة أخرى قبل أن يهدم المرء في لحظات ما قد بناه في سنوات.

﴿١٥٩﴾ يا رب...

اللهم إني عبد من عبيدك، ناصيتي بيدك، وقلبي بين إصبعين من أصابع القدرة، تُقلبه يا رب كيف تشاء.

وأنا مذنب عاصٍ، وأنت التوّاب الرحيم.

وأنا الضعيف المحتاج إلى رحمتك وعونك، وأنت الحنّان المنّان يجيب المضطر إذا دعاه.

اللهم اجعلني حسن الظن بك، ولا تخيّب رجائي في جنابك، وإن ابتليتني فأعنّي على الصبر، وإن أعطيتني فكن معي لأشكرك.

١٦٠ اللهم اغفر لي ما أسأت وما فرطت، إن ندمي على ما فرطت أوجعني في الدنيا، فكيف بالعقاب يوم العرض عليك. اللهم حسّن خلقي وارزقني زكاة في قلبي وفي لساني. اللهم ارحمني من نفسي وإن ضاقت عليّ الأرض بالذنوب، فوسّعها لي بيقين العلم، وحبالة الإخلاص.

وقوّ في رضاك همّتي وعزمي.

١٦١ اللهم.. أسألك نوراً يباشر فؤادي.

وأسألك مغفرة تريح نفسي.

وأسألك رضواناً ترفرف في أفيائه روحي.

اللهم أسألك أن تجعل القرآن نور بصري وبصيرتي.

وأن تغفر لي، وتفقّهني في ديني.

وأن ترضىٰ عني لأكون في عداد العاملين المخلصين.

١٦٢ اللهم فكّ أسرنا من غربتنا.

واشفِ نفوسنا من أدرانها وقيودها في ذلة البعد عنك.

اللهم حرّر قلوبنا من التعلُّق بالدنيا وما فيها، ومَن فيها، وحقّق نسبتنا بهذه الحرية إليك وإلى رسولك.

١٦٣ الصيد في المقلاة يعني أن تتناول الطعام جاهزاً ناضجاً من المقلاة، وقد تعب غيرك مدة غير يسيرة في إعداده وطهيه.

١٦٤ أكرهك أيها الطاغوت بقدر حبي للحرية.

١٦٥ التسامح فضيلة تزيل البغضاء، وتصلح ما انكسر من العلاقات الزجاجية، ولئن يبقىٰ المرء على علاقة طيبة.. أفضل من أن يربح عدواً، إلا أن يفقد احترام الطرف الآخر له.

١٦٦ العلاقات الزجاجية، هي تلك العلاقات التي لم تنشأ أصلاً بين الناس على التقوى والحب في الله، فتكون المصالح المادية والمعنوية هي الوشائج الوحيدة في هذه العلاقات.

١٦٧ أول الطريق أن يجترىء عليك صديقك، وأوسطه أن يغمطك حقك، وآخره أن لا يعبّر إلا عن عدم احترامه لك.

فإن استمرت علاقتك مع مثل هذا، فهذا حمق

وتعرُّض للمحن وإيذاء لنفسك وله معاً.

﴿١٦٨﴾ اختيار الصديق، ثم الحفاظ عليه، مهمة عسيرة شاقة لا يقدر عليها إلا من رحم ربي.

﴿١٦٩﴾ اللهم لا تبتلني بمن يسمع سرِّي ونجواي، ويعلم أنيني وشكواي، وفي لحظة غضب لا يمكنه إلا أن يفجر فيّ خصامه، ويفشي سر أخيه.

﴿١٧٠﴾ أجدر الناس بصداقتك هم أفراد أسرتك الأقربين، وأجدر الناس بمحبتك المخلصون المجربون إذا أقبلت الحياة أو إذا أدبرت عنك، وأجدر الناس بثقتك مَن كان ثابتاً في العسر واليسر، ومَن قبل منك في حال عزّك كما في حال ذلّك، ومَن تستوي معاملته لك في غناك وفقرك، ومَن يقف معك في قولك الحق ولو على نفسك، ولو كان في حقه، ذلك أخ صديق من الأولياء الأصفياء عضّ على أخوَّته لك بالنواجذ.

﴿١٧١﴾ علينا أن نتعلّم كيف نجعل من أفراد أسرنا، أصدقاء حميمين.. أو أصدقاء على أقل تقدير، فهذا أرفع فن من فنون الحياة الإنسانية الراقية، وأسلم وسيلة لبناء مجتمع متماسك سليم.

﴿١٧٢﴾ الأم آية من آيات الله في خلقه، على الرغم مما قد يظهر لبعض الأبناء من سلوك يثير حساسياتهم تجاه أمهاتهم، فما يخفىٰ من تدبير الأم من أجل راحة ولدها، وحبّها له وشفقتها عليه مما لا يمكن لإنسان آخر أن يعوِّضه، كافٍ لأن يجعل جلَّ أعمالنا قاصرة في حقها.

﴿١٧٣﴾ الليل..

الليل.. أنشودة محبَّبة إلى النفس الإنسانية، تعود إلينا بالصفاء كل يوم.

الليل آية الله التي تحمل بين طيّاتها بلسم الشفاء للقلوب المجروحة بلوعة البعد عنه.

الليل روضة الفكر، وبحر عميق تسبح فيه بنات الأفكار فيشفىٰ العقل من سَقَمه وتعبه.

الليل.. لقاء العبد بربِّه في أروع لحظات الحياة الدنيا، التي تعطيها بعض معاني جمالها.

الليل قلب، وروح، ودمعة.

الليل ركعة، ومناجاة، وكلمة.

الليل مرآة تقلِّب فيها ناظِرَيْك لعلك تجد نفسك على صفحتها كما خلقك الله، إنساناً ضعيفاً محتاجاً إليه في كل حين.

الليل سكون وطمأنينة وفكرة.

كتاب جليل، وقلب سقيم، ومحنة.
الليل.. سماء، ودعاء، وحكمة.

١٧٤ يا رب..

مَن للمشَتَّتين الضائعين؟ مَن للمبعَدين المشتاقين؟ مَن للحيارى الضاربين في مسالك الدنيا يسألون عن العليا؟ مَن للمذنبين، وأنين قلوبهم يصل إليك؟ ظلموا أنفسهم ثم دعوك، ودعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب.

يا رب بَحَثَ المحبُّون عنك حتى عرفوك، فذكروا بُعدهم عنك، ورأوا أن وعورة مسالك البحث قد أفقدتهم صلتهم بك، فضجَّت قلوبهم إليك ظمأً وشوقاً تشكو الجفاء.

والآن وقد تذكَّروا فعادوا إلى رحابك، يا مَن يحب التائبين، اغفر لهم زلاّتهم، واجبر عثراتهم، وكن معهم بالرجاء يا غاية المنىٰ.

١٧٥ الجمال..

لا يكره الجمال إلا قبيح النفس، ولا يتَّهمه إلا ذو غيرة عمياء.

مَن منَّا يكره الجمال؟ ومَن منا لا يسرُّه أن يكون جميلاً؟ ومَن لا يسرّه أن يمتِّع ناظريه بآيات الله،

وبديع صنعه في كل شيء خلقه فأحسن خلقه.
ويصرّ بعض الناس على اتهام الجميل بالتكبُّر والخيلاء، بينما يبقى جماله في روعته بهيّاً أخّاذاً، فحقد الحاقدين لا يغيّر من بشاعتهم، ولا ينقص من كماله.

﴿١٧٦﴾ عجبت لمن يدّعي الحب في الله كيف لا يعرف احترام إخوته، ولا الاستماع إليهم، والاستفادة مما يقولون.
وعجبت لمن يريد البناء كيف يحبط عمل أصحابه من حوله، ولا يستمع إلى النقد ولا يرضاه ولو ادَّعىٰ عكس ذلك، وأعلنه على الملأ!.
وعجبت لوُدٍّ ينقلب جفاءاً، ولاحترام ينقلب احتقاراً، ولأخوّة في الله تنقلب إلى علاقات مقنّنة أشبه بعلاقات الموظفين بعضهم مع بعض في مؤسسة حكومية، لا همَّ لهم فيها إلا نيل المناصب، والحفاظ على الشكليّات الإدارية.

﴿١٧٧﴾ ما رأيت داء مثل النفاق، يجمع حولك المحبين كذباب على طبق حلوى، فإذا كان يوم الحساب، جعل الله الجمع كله ركاماً في جهنم.
وما رأيت دواءً مثل الصدق، يخرجك من قلوب

الناس، فتعيش في جحيم من سوء فهم الآخرين، وتتقلّب على شوك بغض الناس لك، ولعلك تنجو به يوم العرض على الله.

﴿١٧٨﴾ إذا كنت تعتقد أنك على حق، وأنا موقن بأن الحق معي.
وأنت تدّعي أنك على حق تستمدُّه من كتاب الله، وأنا موقن أن كتاب الله أعطاني حقي.
فإلىٰ مَن نحتكم من ظلم كلٍّ منا للآخر باسم الإسلام؟.

﴿١٧٩﴾ اللهم إن كنت تعلم أنني صادق فكن حسبي، لأطمئن إليك، فأنت نعم الوكيل.
وإن كنت تعلم أنني لا أحب المراءاة، فكن قوّتي لآمن غضبك عليّ، فإنه لا حول لي إلا بك.
وإن كنت تعلم أنني أحاول الإصلاح ما استطعت ولكن يُساء فهمي، فأعِذني بك، لأتقوّى بالصبر، لأنه لا ملجأ منك إلا إليك.

﴿١٨٠﴾ إذا كنت تحسن ويظنون أنك مسيء، وتبني فيتّهمونك في كل حجر تضعه في أساس البناء، وتحب فيشوّهون كل معاني الحب السامية في نفسك، فكيف يُرجى لك الخير مع هؤلاء الذين

يحرقون ـ جاهدين ـ كل أشجار الزيتون التي تحاول استنباتها في قلبك؟.

﴿١٨١﴾ كم من المرات حسبنا أننا مظلومين، وكنا ظلمة، كم توهَّمنا أننا مسحوقين وكنا نحن الطغاة المطفِّفين، نسجت أحلامنا الصغيرة قصص إفك، وصوّرت لنا الحياة سوداء قاتمة، فأعمانا ذلك عن رؤية الحقيقة.

فالحقيقة دائماً مريرة، ولذلك نبحث عن أحد نتّهمه دائماً، لننحّي أنفسنا عن دائرة الاتهام.

﴿١٨٢﴾ اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي، واجعل علانيتي صالحة.

اللهم أعوذ بك أن تردَّ صلاتي، وتضرب بها وجهي.

وأسألك أن تقوِّيَني في رضاك حتى أحسن إلى نفسي فتنجو يوم العرض عليك.

اللهم إني أعوذ بك من أن تُنزل بي ما لا أستطيع الصبر عليه من قدرك، وأسألك أن تلطف بي وتغفر لي وترحمني، فأنت أكرم من أن تعذِّب مسلماً ما له عمل يصلح للعرض عليك سوى الحب فيك، وبغض الإدبار عن سبيلك.

﴿١٨٤﴾ يا مطَّلعاً على خفايا النفوس، وخبايا القلوب.
يا مَن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
يا مَن لا يردُّ سائلاً، حتى لو كان عاصياً.
يا خير مَن سئل وأكرم مَن أجاب.
يا مغيثاً.. يُدَبِّرُ الخلق بقدرته وقد ذلَّت أعناقهم له.
اللهم فرِّج عن هذه الأمة ما أهمَّها، وأعذ أحبابك بك من شرور أنفسهم، وألهمهم رشدهم، واغفر لهم ذنوبهم، وإسرافهم في أمرهم، واجبر عثراتهم، وآمن روعاتهم، وأخلص نياتهم لك، ولا تضيِّع لهم أعمالهم وجهادهم.
اللهم صِلْ بينهم وبين ليلك بالقيام، وبينهم وبين نهارك بالجهاد، وبينهم وبين دينك بالصراط المستقيم، وبينهم وبين كتابك بخلق القرآن.
اللهم باعد بينهم وبين التعصُّب، واصرفهم عن المراء وقيل وقال والتشدُّق والتفيهق، وألِّف بين قلوبهم على حبلك المتين، واجعل كيد أعدائهم من كل صنف في نحورهم.
اللهم إنك تعلم أنهم طلَّقوا الدنيا من أجلك فانصرهم على عدوهم، وثبِّت أقدامهم، واجمع كلمتهم على الحق، واهدهم سبل السلام.

ـ ٤ ـ

«إن لم تكن للحقّ أنت. .

فمَن يكون؟

الناس في محراب لذات الدنايا عاكفون

حتىٰ متىٰ هذا التردُّد والجفاء

حتىٰ متىٰ هذا الحياء

والأرض يملؤها البغاة

والظالمون لهم لواء.

والفاسقون. . والكافرون

والمسلمون في كل درب يخبطون.

والليل قد ملأ العيون.

والقلب يحرقه الخواء

والقلب فارقه الضياء

حتىٰ متىٰ

حتىٰ متىٰ يا قلب تغشاك الظنون

إن لم تكن للحق أنت

فمَن يكون».

١٨٤ «لن» . .
لن تعيش القلوب دون حب أبداً.
ولن تصبر أجساد الأحرار على السياط دهراً طويلاً.
ولن يعيش الحقد في جسم الفرح الصافي خالداً.
ولن يستطيع مِنْجَل الكراهية أن يحصد الأشجار الخضراء.
ولن تجفِّف العصبية الحمقاء ينابيع الصفاء فينا.
ولن تمنع السلاسل تفجُّر البركان.
وما دامت «لن» تفيد امتناع الفعل، فإن للحق صولة، وجولة، ودولة، وقوّة، وإشراقاً.

١٨٥ الدنيا دار ابتلاء وامتحان، والامتحان فرصة للعمل والجد، والأعمال لا تُنْجَز بالأحلام، والحياة لا تستمر بالأوهام، ومَن بنىٰ في خياله قصراً دون أن

يعمل على تحقيق حلمه، فقد دفن نفسه تحت ركام الأيام.

١٨٦ إن في كل إنسان خيراً، وموهبةً تحتاج إلى اكتشاف، ومن ثَمَّ صقل وعمل، ولكن أين هو تكافؤ الفرص الذي يسمح لتلك المواهب المدفونة في القلوب أن تظهر؟ إنها مع الأيام وبسبب الإهمال تتلاشىٰ لتصبح ندوباً في القلوب والعقول جميعاً.

١٨٧ لا تكون المدرسة دار تربية وتعليم، إلا عندما تربّي إنساناً حرّاً، وتعلّمه كيف يبحث عن الحقيقة، وكيف يستخدم علمه في عمله، وكيف يقول "لا".

ولكي تصل المدارس في بلادنا إلى الحدِّ المقبول من ذلك، لا بد من إعادة النظر جملة في تربية المربِّين أصلاً، وإعادة صياغة عقولهم وأفكارهم، ومحاولة تهذيب نفوسهم، والعمل على اختيار نخبة منهم للعمل في التربية، فليس كل مَن حمل الشهادات بقادر على حمل الأمانة العظيمة في تربية الأطفال، والإسهام في تنشئة الأجيال.

١٨٨ لو يعلم الطغاة كم تحمل قلوب المؤمنين من حب لذابوا خجلاً.

ولو يعلمون ما في نفوس المجاهدين من إرادة وثبات وتصميم لتمزّقوا غيظاً.

ولو يعلمون ما أعدَّ الله لهم من عذاب وهوان لتمنَّوْا لو أن أُمهاتهم لم تلدهم!.

ولو يعلم ويدرك المسلمون كم من الجهد والوقت تحتاج أفكارهم وآمالهم لتصير واقعاً في حياة أمَّتهم، لعاش كل منهم ألف حياة في حياة، ولما وجدوا متَّسعاً لقيل وقال، وكثرة السؤال، والشكوى من الآخرين وهم قاعدون.

﴿١٨٩﴾ عجبت لهؤلاء الذين تسمَّوا بأسماء مختلفة، ورفعوا شعارات مختلفة للعمل الإسلامي، ثم لم يتَّقوا الله في المسلمين، ولم يكفُّوا عن عبثهم بأعراض بعضهم بعضاً من خلال الشعارات والأسماء، عجبت لهؤلاء كيف لا يفكرون بما هي عليه أحوالهم الذاتية، من تدهور وإهمال وانكفاء، وبما هي عليه أحوال أمتهم من ارتكاس وذلٍّ وتخلُّف!!؟.

إنما المسلمون إخوة مهما تعدّدت الرايات، ومهما اختلفت الواجهات، وإن الأزمات التي تمرُّ بها الأمة أكبر من التنابذ والتشاكس، والاتهامات التي لا غرض من ورائها إلا إثارة الفتن والعداوة والبغضاء وتعميق الخلاف.

١٩٠ إن العمل الإسلامي ساحة واسعة، تستوعب ضمن حدودها كلَّ مخلص لديه من صفاء البصيرة ما يمكنه من العمل دون أن يرى كل عامل معه خصماً له، ودون أن تحمله الأنانية ووسوسة الشيطان على الانشغال بمعارك جانبية سخيفة مع إخوانه عن عدوٍّ يتهدَّد الساحة كلها بما فيها ومَن فيها.

١٩١ أعجب لامرىء مسلم ملتزم بالإسلام، لا يفهم من الأخوة في الله إلا أن يكون الطرف الآخر عضواً في جماعته وحركته، فإن لم يكن كذلك انقلب عدوّاً لدوداً له، ولو جاء الآخر بالمعجزات ليدلِّل له على حبّه له في الله وثقته به وطمعه في أخوته.

١٩٢ لا بأس من اختلاف أطر العمل الإسلامي، ولا بأس أن يختلف تصوُّرنا عن وسائل العمل ما دام العمل لله.

ولا بأس أن تتفرّق بنا الطرق ما دام هدفنا واحداً، لا بأس أن يستقلَّ كل منا بأسلوبه في الدعوة إلى الله، لا بأس، ولكن البأس كل البأس، والمصيبة كل المصيبة في اقتتال الإخوة، واختلافهم الشديد، فهذه دعوة يرفعها إبليس ليزرع

بين الذين قلَّ إيمانهم وساءت أخلاقهم العداوةَ والبغضاء ليصدَّهم عن سبيل الله، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

١٩٣ كان نقد القيادات، والتعبير عن الرأي، والقول بالحق فيما مضى نصرة للحق، وتعزيزاً لوضع الجماعة، ورفعاً لشأن الإنسان المسلم، واحتراماً لآراء الأفراد... حتى قال عمر: «لا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها»، وحمد الله على أن جعل في رعيته مَن يُقوِّم اعوجاج عمر.. وعمر هو عمر.

فأصبحنا اليوم وقول كلمة الحق.. مدمّر لوحدة الصف، ومفكّك لأواصر الأُخوّة، ومزلزل لوضع القيادات، ومكروه منكَر من قِبَل القائمين على الجماعات الإسلامية فضلاً عن غيرها من الأحزاب والتجمعات في بلادنا.

ما تكاد تقول كلمة حق أو نقد، أو تكتب شيئاً تعبّر فيه عن رأيك حتى يُلحقوا اسمك بأسماء المنشقّين، المخرِّبين في الصف الإسلامي، وربما حَذِرُوك حذرهم من الداء الأصفر، وربما آذوك في نفسك إيذاءً بليغاً، وربما كلموك حتى جعلوك تشعر بالذنب لأنك أقدمت على القول بما ترى،

وربما ألجؤوك إلى التقاعس عن تصحيح الخطأ وزيَّنوا لك أن ما تفعله إثم عظيم وإساءة بالغة.
عجباً لجماعات هذه حالها، يخاف المسؤولون فيها على مواقع مسؤولياتهم، أشد من خوفهم على مصير الجماعة، وتذبذب شخصيات أفرادها، وسوء حاضرها ومستقبلها وهي تربِّي أفراداً عاجزين عن عمل أي شيء حتى لو كان قول كلمة حق.

١٩٤ اللهم..
أعطنا قوة نواجه بها النفس والشيطان، وثباتاً للاستمرار في مواقع الجهاد.
اللهم هبنا من لدنك صبراً ومصابرة، واجعلنا من جندك المخلصين الذين لا يركعون أمام المحن.
اللهم ارزقنا الحكمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدء بأنفسنا في ذلك كله.
وارزقنا الشدة في الحق، ولو على أنفسنا، والغضب لك، والخوف منك في السر وفي العلن.
اللهم لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.
اللهم احمِنا من أنفسنا الأمّارة بالسوء، ومن الذين يزيّنون لنا التقاعس، ويرهبوننا من قوة العدو

وشكيمته، واحمنا من هذا المجتمع الضائع الذي لم يجد هويته حتى الآن، واجعلنا في مواقع العمل بما علمنا جنداً لك وأنصاراً، غير آبهين بالذين يسلخوننا بألسنة حداد من بني جلدتنا.

اللهم ارزقنا خدمة المجاهدين في سبيلك نصرة لدينك، وثبّتنا إذا امتحنتنا، ومُنَّ علينا بالشهادة في سبيلك وألحقنا بالصالحين.

١٩٥ وقفة صادقة مع رسول الله ﷺ، وهو يُؤذى أشد الإيذاء من قِبَل أهله، وعشيرته، والقاصي والداني، ويُتَّهم تارة بالجنون، وتارة بحبِّ الرئاسة، ويمشي في الأسواق ﷺ، فما يجتمع بامرىء يدعوه إلى الله إلا ويأتيه عمه أبو لهب، فيقول للرجل: لا تصدِّقه، أنا عمه وهو مجنون، ورسول الله يسمع ويرى.. ويمضي في دعوته لا توقفه هذه الأفعال، ولا هذه الحرب المسعورة، عن دعوته إلى الله، ولا تفتّ في عضده هذه التهمُ ولا تلك الادعاءات، حتى يضيق ذرعاً ويتم وعد الله، فيخرجه قومه، إذ يضطرونه إلى الخروج من بين أظهرهم إلى بلد آخر يضمُّه ويكرمه، ويكتب الله له فيه نصراً جديداً.

فديتك نفسي يا رسول الله.. ما وقفت مرة معك

في سيرتك هذه، إلا كانت بلسماً لجراح قلبي فيما أرى من ضيق بعض المنتسبين إلى الإسلام بنا وبدعوتنا إلى الله، وخصومتهم لنا، واتهامنا في عقولنا وديننا وأخلاقنا ودعوتنا.

﴿١٩٦﴾ هل في هذه الدنيا لذة تعدل لذة قيام المرء في جوف الليل بين يدي ربه، ولذة استغراق في كتاب الله تزرع الصفاء في عقله وروحه، وومضة إشراق يلقي فيها بنفسه في ساحة الشرف، تنقله إلى ظلال العرش ـ إن صدق ـ حيث يلقىٰ الأحبّة محمداً وحزبه.

﴿١٩٧﴾ يعتبر بعض الإسلاميين اليوم أن صلاحية الداعية أو ترشيحه للقيادة مرهون بقدرته على التعامل مع الآخرين دون أن يكون له أي خصم.

وهذا من أعجب ما سمعته في العمل الإسلامي، كيف يمكن لذي موقف ورأي في الحياة والحركة والدعوة أن يتخلّص من الخصوم ويكون الناس جميعاً أحباباً من حوله، إن هذا مقام ما حصل عليه سيد الأولين والآخرين، وأعظم رسول أرسله الله إلى خلقه، وعلى الرغم من ذلك وجدنا مَن كان يعاديه عداءً شديداً، وكان هناك الحريص

على قتله ﷺ، وكان منهم الكاره المبغِض، وكان فيهم المنافق اللدود، وكان فيهم المخالف، كما كان فيهم المحبُّ الملتزم، وكان فيهم الذي يفدي رسول الله بأهله وماله ودمه ونفسه، وكان فيهم الأتباع المخلصون.

إنه لا يحافظ على رضىٰ الناس إلا رجل ليس له موقف، رجل استطاع أن يرضي الجميع لأنه لم يعبّر لأحد قط عما يجيش في صدره، وآثر أن يكذب على نفسه وعلى خصمه.. كيف لا.. ورضىٰ الناس غاية لم يدركها الأنبياء، حتى يدركها جملة من المتأخرين في مثل الأحوال التي تعيشها أمتنا.

١٩٨ لا تغيّر رأيك لترضي الآخرين، ما دمت تؤمن بأنه الحق، لكن.. من الحماقة بمكان أن تعلم أن رأي الآخرين هو الحق، ثم تتشبّث برأيك معانداً.

١٩٩ إن أولئك الذين تركوك وقد أحببتهم، وهؤلاء الذين تنكّروا لك بأبشع ما يكون نكران الجميل ونسيان الصداقة، هؤلاء وأولئك لا يستحقون منك وقفة ذكرى ولا جرح ألم.

امضِ في حياتك غير آبهٍ بهم، واثقاً في الله.

إن الحياة مليئة بأناس طيّبين، يمكنك أن تعيش

معهم جنة الأخوّة والصداقة بكامل الحب في الله، دون أن يفكروا في طعنك من الوراء.

٢٠٠ القسوة أبلغ تعبير عن الضعف.
والشدّة في مكانها رحمة.. والرحمة في غير موضعها ظلم.

٢٠١ يولد الإنسان جاهلاً ويقطع رحلة العمر في تعلُّم ما يجب عليه تعلُّمه ليستطيع الحياة في هذه الدنيا، وعندما يصبح جاهزاً لذلك، يجد نفسه عند المحطة الأخيرة فيها.

٢٠٢ لا سعادة دون حرية.
ولا حرية دون إرادة.
ولا إرادة دون عقل.

٢٠٣ خذ من الإنسان حريته.
ومن الأرض ترابها.
ومن الأشجار جذورها.
ومن البحر ماءه.
ومن الكون نظامه.
ثم قل لي هل للوجود بقاء، وقد سُلِبَ كل مخلوق فيه أخصَّ خصوصياته؟.

﴿٢٠٤﴾ لا تحمل هموم الناس على عاتقك لأنك ستجد نفسك بعد حين عاجزاً عن حمل همومك، فلم يكلِّف الله نفساً إلا وسعها.

﴿٢٠٥﴾ شديد الحساسية هو الذي يراقب الناس فيما يقولون ويفعلون معه، كما يراقب نفسه فيما يقول ويفعل مع الناس، فيؤذيه أن يؤذي الناس، كما يزعجه أن يزعجوه.

أما ذلك الذي يدَّعي شدة الحساسية، فلا يقبل من أحد أن يمسَّه بلفظ ولا إشارة، بينما هو يؤذي الناس في كل حين، وينتقدهم في كل كبيرة وصغيرة، ويجرح شعورهم في كل ما ينطق..
فهذا متعجرف متكبّر، يغمط الناس حقوقهم، ومطفِّف بشع، يرتضي لنفسه ما لا يرتضيه لأحد من العالمين.

﴿٢٠٦﴾ كَرِهتُ المال عندما رأيت الحريصين عليه، والمتباهين به.

وكرهت القيادة عندما عرفت الطغاة، وابتُليت بالحمقى في مراكز المسؤولية.

وكرهت الكلام عندما سمعت الكذّابين المنافقين، أو المخذلين الإمَّعات.

وكرهت الحياة عندما رأيت الإخوة ينقلبون أعداءاً حرصاً على مناصب اجتماعية وتركيبات مادية!.
وكرهت التخاذل والخور.. عندما اكتشفت الارتكاسة الحقيقية التي سقطت فيها أمتي.

٢٠٧ النفس الإنسانية بحرٌ عميق، فلا تغترّ بحالة طارئة تراها على السطح، فإنك لا تعلم ما يحويه البحر من أوحال وأشواك وحيوانات مفترسة، أو لآلىء وجواهر ومخلوقات رائعة عجيبة.

٢٠٨ الساعة.. والتقويم، صديقان حميمان، دائماً يُذكِّران بأن أعمارنا تهرول نحو النهاية.

٢٠٩ أن يتنافس الناس في الدنيا لنيل شيء من الدنيا، فهذا دأبُهُم مُنْذُ خلقهم الله ثم اجتذبتهم الشياطين، أما أن يتنافسوا في الدين لنيل الدنيا، فما سمعت بهذا إلا في بعض أحاديث رسول الله ﷺ التي يُقرِّع بها مَن لا ينظر الله إليهم ولا يكلِّمهم يوم القيامة، وما كنت أظن أن أرى هذه الفئة، وما كنت أصدّق أن ألتقي بهم، حتى ابتلاني الله بمرافقتهم وسماع تفاهاتهم وسخافاتهم، وتنافسهم في الدين من أجل الدنيا، وسعيهم ومكابدتهم ونَصَبهم في سبيل وجاهات ومناصب، كذبوا

على الله وعلى أنفسهم وادَّعوا أنها للّه!!.

إنهم قذر يعتبرون من البشر، ومقت الله وغضبه نازل بهم في الدنيا والآخرة وهم لا يعلمون، وإن علموا مكروا بأنفسهم مكر السوء، وخدعوها عن رؤية هذه الحقيقة.

٣١٠ أعظم مصيبة يمكن أن تحلَّ بامرىء مسلم في الدنيا، أن يظن أنما عمله لوجه الله، ويجتهد في تحصيل غاية هي أبعد ما تكون عن الإخلاص لوجه الله عزّ وجل.. إنه ضياع الدنيا والآخرة.. وخسران مبين.. وكما قال ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾[1].

٣١١ عندما تمنعني من الحياة معك على أرض وطني الذي تمتص دماءه، فلن يلومني أحد إذا ما سعيت إلى دفنك معي في نفس القبر الذي تحفره لي.

٣١٢ الوحدة مريرة، خاصة لأولئك الذين لا يعرفون الأنس بالله، لكنها أمان من الوحوش الآدمية، وشياطين الإنس الذين يفوقون شياطين الجن وسوسةً وشرّاً في بعض الأحيان.

---

(١) الغَاشِيَة: ٢ ـ ٤.

٣١٣ مَن أحبّك في عسرك ويسرك، دون أن ينتظر منك معروفاً، واحتملك في غضبك وسرورك، وتعاهدك بالسؤال والمحبة وبالنصيحة والصدق، فذلك هو الأخ الصديق الذي هو أندر من الكبريت الأحمر كما يقول ابن حزم.

٣١٤ كلما أكرمت الكريم، عرف قدرك، واعترف بفضلك، وزاد وصلك، وأحلّك منه مكاناً شريفاً.. ذلك من خيار الناس.. ولو قصَّر في بعض الواجبات فإن الخير فيه يرجىٰ. وكلما أكرمت اللئيم، صَعَّرَ خدّه، وازداد احتقاراً لإكرامك، واعتقد إنما إكرامك له لأنه من طينة غير طينة البشر!.

ذلك لئيم وضيع ولو ادّعىٰ أنه من كرام الناس، فرَّ منه كما يفرّ الناس من المجذوم، فإنه لا يُرجىٰ خيره، ولو قام الليل دون نوم، ولو صام النهار دون إفطار، فخُلُقه ذلك يفسد عباداته هذه.

٣١٥ من قال بأن طريقنا مسدود؟.

كل الطرق إلى الخلاص سالكة، على الرغم من وعورة بعضها، لكن السير فيها مرهون بإرادتنا.

٣١٦ أهون ألف مرة أن تكون مظلوماً يحاول الانتصار

لنفسه، من أن تكون ظالماً ولو مرة واحدة تسمع أنات الآخرين، وترى آلامهم ولا تبالي.

٣١٧ بين الحب والكراهية شيء دقيق يدعىٰ الرضىٰ.

٣١٨ كم هم قلّة أولئك الذين يستطيعون التخلُّص من سحب العواطف التي تعمي البصيرة في لحظات هم أحوج ما يكونون فيها إلى التعقُّل والتروّي.

٣١٩ قد تكون المحنة التي تصيب أخي أشدّ وطأة على نفسي من تلك التي تصيبني، فربما استطعتُ تجاوز كبوتي، وأخي في محنته لا يعرف ماذا يفعل.

٣٢٠ اللهم أرنا الحق واضحاً جلياً، وارزقنا اتباعه بسهولة ويسر، وأنِرْ لنا سبل الرشد والسلامة، ولا تمتحنّا بما لا نستطيع الصبر عليه.
وإذا امتحنتنا فثبّتنا يا الله.

٣٢١ قد يولد العظماء في أحقر البيوت.
وقد يولد العباقرة في وسط المشكلات والمنازعات.
وقد يولد المصلحون في البيئات الفاسدة.
إلا أن الحمقىٰ الذين يسيئون التفكير ولا يحسنون

التصرف، لا يولدون إلا في أمة تطمس معالم الإنسان في كل عظيم وعبقري ومصلح.

٣٣٢ الحب.. إخلاص وصدق ورحمة وتسامح.
الحب.. عرفان بالجميل.. واعتراف بالخطأ.
الحب.. خوف من الزلل، وقبول للعذر.
الحب.. عطاء بلا حدود، وتضحية لا تنتظر إذناً من العقل.
الحب.. تجاوز عن السيئة، وزرع الأمل في قلب حزين.
الحب.. ألفة وتجانس فكرة.
الحب.. إعجاب بالصورة والشكل، وعشق للروح والفكر.
الحب.. امتلاك دون أنانية، وصداقة متوازنة سليمة.
الحب.. وسيلة للبناء، وروح للسعادة، وقلب ينبض بإرادة جبّارة للعمل لا تريد التوقف أبداً.

٣٣٣ أهملوا النبت، وأساؤوا الظن فيه، وحقّروه، وحتى بالخيانة اتّهموه، ثم جاؤوا يلومونه لأن شوكة ظهرت في عوده.
ثم رفضوا أن يسمعوا عذره عندما حاول أن يستقيم ليعجب الزراع.

كيف لمثل هذا النبت أن يستقيم وهذا هو حاله مع الزارع؟.

﴿٢٢٤﴾ كان تعدُّد الشيوخ فيما مضىٰ مِزْيَةً يتحلّىٰ بها طالب العلم، ويَمْتَدِحُ بها المتأخرون المتقدّمين، فأصبحنا في هذا الزمن العجيب وتعدُّد المشايخ سُبَّةً تؤخذ على طالب العلم، وما يزال به إخوانه ومشايخه حتى يخرجوه لو استطاعوا من وطنه ضيقاً منهم به وغيظاً منه.

﴿٢٢٥﴾ أيهما أكرم عند الله: أشعث أغبر، قليل العمل، كثير الزلاّت، لكنه منكسر بباب الله، معترف بذنبه، أم النظيف المتطيِّب، كثير القول والعمل، طاهر الذيل، ثابت الخطى، لكنه يأنف من أخيه ذاك، يسيء الظن فيه وفي أمثاله ويترفَّع عن مصاحبته أو الكلام معه؟.

﴿٢٢٦﴾ «أنت.. وهو».

كيف تريده أن يكون مثلك، وأمك عالمة، وأمه أميّة؟ وأبوك عظيم، وأبوه من السُّوقة؟.

بيتكم كبير وبيتهم حقير، طعامكم فاخر، وطعامهم كفاف..

لن يكون مثلك أبداً، فهو يعرف الألم، ويشفق

على الإنسان، ويجبر عثرات الكرام، ويعرف كيف يعترف بذنبه وبخطئه، وأنت لا تعرف إلا السرور، ولا يعني لك الإنسان شيئاً إن لم يكن ذا مال وجمال ومناصب دنيوية خاصة، وتحتقر المنكسرين أمام جبروت مالِك وجمالِك واستقامتك!.

كيف يكون مثلك، وهو إنسان، وأنت متفوِّق؟.

سنوات كثيرة من عمر الإنسانية ستنقضي قبل أن تعلم من هو الأصل في خلاصها، هل هو الإنسان أم هو المتفوِّق؟

٢٣٧ يا أخي في الله...

لا يؤلمنّك سوء تصرّفي تجاهك، فأنا أحمل لك من الحب في الله، ما عجز العالم كله عن حمله، ولا يضيق صدرك بزلاّت أخيك، فإنما ذلك من طمعه في تسامحك معه، وتجاوزك عنه.

يا أخي إنما أمضي في الحياة غريباً، وأنت غريب، فهاتِ يدك لأشدَّ بها عضدي، ونمضي سوياً، نطهِّر القلوب، ونداوي الجراح، فليس بين الإخوة في الله أشواك، ولا حواجز، إنما هو الحب في الله الذي نزرعه في الحياة الدنيا أشجاراً تثمر في ظل الله يوم لا ظلَّ إلا ظله.

٢٢٨ الأخ الحقيقي هو الذي لا تعميه زلاّتك عن مزاياك، ولا حسناتك عن واقع الأمور، فيظن أنك من غير البشر، وينزلك منزلاً يسيء إليك وإليه في قادم الأيام، كما لا تثنيه هذه الحسنات عن تنبيهك إلى أخطائك، وهو الذي يعرف قدر هذه وتلك.. فإنه لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا أهل الفضل.

والأخ الصديق.. هو الذي يحترم مواقفك، ومشاعرك، ونقاط ضعفك، وأخطاءك، وإذا اكتشف على حين غرّة أو طول صحبة وخبرة أنك بشر تخطىء وتصيب، حفظ نفسه عن الخوض في عرضك والكفر بك وبيع أسرارك وكرامتك.

الأخ الصديق هو الذي تحمله ويحملك، وتعينه ويعينك، ويكون معك في ساعة العسرة حتى لو لم تستطع أنت الوقوف معه في محنته.. الأخ الصديق قطع نادر من الناس اليوم والبارحة وغداً، فإذا ظفرت بمن يشبه هذا فاحرص على أن تمدَّ حبال العلائق معه إلى يوم القيامة.

٢٢٩ أسمى أنواع الحب ما ارتفع بالروح إلى عوالم الصفاء التي تترفع عن مادية البشرية، واعتناق الفكرة بالعمل في ميادين العطاء التي لا تَنفد وإن نُفِّذَ بالجسم حكم الإعدام.

﴿٣٣٠﴾ خدعتني ابتسامتك الرائعة، فلم أرَ الخيانة الكامنة في أعماقك، أسميها خيانة تلك الحالة التي تنسينا الذين أحبُّونا بصدق وهم في أحلك لحظات حياتهم محنة، ثم لم نقف منهم ولا حتى موقف ذكرى.

﴿٣٣١﴾ لماذا نصبغ الحب دائماً بسواد الأشكال والأقوال؟ لماذا نُضيِّع أعمارنا بالندب على ما فات والتأمُّل فيما سيأتي؟ لماذا نزرع الكراهية في قلوب الناس، ونحن قادرون على أن نفرش لهم الأزهار في دروب حياتهم لو أننا تواضعنا قليلاً.

﴿٣٣٢﴾ العقول العقيمة أصحابها سعداء، والقلوب التي لا تعرف الحب أصحابها يعرفون النوم، لكن لذة المعرفة والحب تنتقل بالروح إلى عوالم أخرى من السعادة لا يعرفها أولئك الغافلون.

﴿٣٣٣﴾ في المجتمعات الغربية والشرقية المتحضِّرة ماديّاً، مواثيق وعقود غير مكتوبة، اتفق المجتمع عليها وطبَّقها في مجال العلاقات الاجتماعية العامة، لذلك ترى الناس هناك أكثر رقيّاً في معرفة واجباتهم، والحفاظ على حقوقهم. أما نحن.. فإننا حتى الآن لا نعرف شيئاً في بلادنا عن

مواثيق وآداب العلاقات الاجتماعية على الرغم من أن ديننا زاخر بآداب العلاقات الاجتماعية الإسلامية التي تُعتبر من أرفع آداب العلاقات في الدنيا، ولو أننا التزمنا بها في مجتمعاتنا لاستطعنا النهوض من هذا الحضيض الاجتماعي الذي نعيشه لنكون في قمة التحضُّر في هذا الميدان.. لو أردنا.

﴿٣٣٤﴾ الحق.. هو الصاحب الذي لا يدع لك صاحباً سواه!.
والصدق.. هو العدو اللدود لكل المرائين المتكبِّرين الفارغين.

﴿٣٣٥﴾ إن قول كلمة حق.. مرير وقاسٍ، ربما دمّر في لحظات صداقة بنيتَها في سنوات طويلة.

﴿٣٣٦﴾ كثيراً ما نجتهد اجتهاداً نكلّف فيه أنفسنا فوق وسعها، للحفاظ على أخ يبدي من اللؤم وسوء الخلق ما ينقله من مرتبة الأخوة في الله التي يشرّف بها الله المؤمنين، ونبذل في سبيل ذلك أموالنا، وأوقاتنا، وصحة أعصابنا، وأحياناً كرامتنا.. وعلى الرغم من ذلك كله تجد ذلك الإنسان يتمادى في رعونته وحمقه.

علينا أن نذكر أن الله عزّ وجل لم يكلِّف نفساً إلا وُسعها، وأنه من أحمق الحمق أن نُقبل على مَن أدبر عنا.

٢٣٧ الأُخوّة في الله لا تعني أبداً أن يبذل الإنسان ما فوق طاقته للحفاظ على أخ في الله يبدي الإعراض عنه في كل حين، ولا تعني أبداً أن يبذل المرء ماء وجهه باسم الأخوّة في الله، ولا تعني كذلك أن نحتمل أخطاء الآخرين وقلّة ذوقهم وأدبهم.. ليسَ بمثل هذا ينال المرء ظل عرش الله، إنما ينال بذلك حرجاً في صدره، وأذى بليغاً في نفسه ودينه.

٢٣٨ تأملت في أولئك الذين رضي عنهم الناس ـ ولو في الظاهر ـ وراقبت أعمالهم وأقوالهم طويلاً، فإذا أكثرهم من الذين لا ينطلقون عن غير ما يرضي الناس، ولو رأوا باطلاً ما غيَّروه، وحتى لو استُنْصِحُوا ما نبسوا ببنت شفة، وقد يرى أحدهم أخاً له مغرقاً في الخطأ الذي قد يجرُّ البلاء على المجموع وهو يعلم ولا ينصح له، خوف تغيّر قلب أخيه عليه ـ مع إنكاره لعمله في سرّه وخلوته ـ. وكدت أسير على هذا الدرب،

لولا أني سمعت قول رسول الله: «**لا يحقِرنَّ أحدكم نفسه**» قالوا: يا رسول الله، وكيف يحقِّر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أن عليه مقالاً، ثم لا يقول فيه، فيقول الله عزّ وجل يوم القيامة: ما منعك أن تقول فيَّ كذا وكذا؟ فيقول: خشية الناس، فيقول: إياي كنتَ أحق أن تخشى**»[1].

فهذا الذي جعلني أؤثر كلمة الحق على صداقة الذين لا يعجبهم النقد حتى لو كان حقاً وصدقاً.

﴿٣٣٩﴾ ما ترك الحق صاحباً لعمر ـ رضي الله عنه ـ فماذا سيترك الحق لنا؟.

﴿٣٤٠﴾ إن التزام الحق لا يعني كلمة نقولها قد يكون السكوت عنها في بعض المواقف أولى.

إنه التزام نفسي وسلوكي، وقيام بواجب الحق كاملاً مهما كلّفنا ذلك من تضحيات، بما في ذلك الأنفس والأموال والسمعة والصيت.

إن التزام الحق أمر ناءت منه الجبال.. ولا يستطيع القيام به حقاً إلا أتباع الأنبياء ممّن رحمهم الله في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه عن أبي سعيد الخدري.

٢٤١ العلم لا يغني صاحبه دون الفهم، والفهم لن يصلح الأجيال دون الوعي، والوعي ليس له قيمة دون العمل بالعلم.

فالعلم أصل الشجرة، والفهم غذاؤها، والوعي الشمس المشرقة، التي تزوّد الخلايا الخضراء بالنور والحرارة كيما تصبح قادرة على اصطناع اليخضور الذي تحيا به.

والعمل هو الحياة.. ولكي يفوز صاحبه، ينبغي أن يكون صواباً خالصاً، ولا يكون ذلك إلا بمراعاة هذه الشروط جميعاً.

٢٤٢ في زحمة الحروب والثورات، وبين السجون والمعتقلات، وفي أجواء الخوف وافتقاد الطمأنينة والكرامة، ومع نقص المؤن، ومحاربة الناس في لقمة عيشهم، وفي حرياتهم، وحتى في أفكارهم التي في عقولهم.

وتحت وطأة العادات العفنة، والتقاليد الشاذة، والعلاقات الاجتماعية المُغرِقة في الفوضى دونما علم ولا دين، حيث يفقد الإنسان مبرّر وجوده في أسرته ومجتمعه، قبل أن يستحيل عليه البقاء في وطنه، في زحمة ذلك كله.. تُرى هل يمكننا أن نحصل على فرصة.. مجرد فرصة لنحيا

بسلام، ونعيش حبّاً سامياً، يحمل الروح إلى عوالم بعيدة بعيدة، عن كل ما يُثقل أرواحنا من آلام ومعاناة، عوالم نحلم بها ولا نستطيع أن نأمل بالوصول إليها؟

هل هذا ممكن الحدوث؟! أم أن شباب الأمم النائمة، تُناط بهم مهمة الكدح والمكابدة من أجل ابتعاث أممهم من سباتها دون أن يفكروا بلحظات السلام هذه في عوالم الخيال.. حتى يفوزوا بالجنة؟.

٢٤٣ لذة الروح بالحب، ولذة العقل بالمعرفة.

ولذة النفوس اللوّامة في سجدات الاستغفار تطلب الرضى من الحنّان المنّان.. لعله يغفر ويرضى.

٢٤٤ كل الذين يعشقون فكرة، صادقين مخلصين، يسعون إلى الجهاد في سبيلها، وربما قُتلوا تحت لوائها.

ولكن فقط أحباب الله، هم الأحياء ـ بعد قتلهم ـ عند ربهم يُرزقون.

٢٤٥ «بيني وبينك»

بيني وبينك جدار هائل يمنعنا من بناء السعادة التي يحلم بها كلٌ منا، بيني وبينك سور منيع يُخلّف وراءه كل آمالنا بالحب والحياة.

بيني وبينك فكرة، وكل حروب العالم سَعَّرَتْها فكرة.

٢٤٦ يا صديقي.. إن كنت تحبني وأحببت طريقي.. فلماذا لم تخطُ نحوي مجرد خطوة.. خطوة واحدة فحسب، كانت كافية لأمدّ يدي إليك ونبني كلانا ما ورّثنا عدم بنائه كثيراً من الحسرات حتى آخر العمر.

٢٤٧ «أمنية»

وراء الجبال، وعلى رقعة صغيرة من الأرض السندسية الموشّاة بأزهار تعطي الحياة بهاءها، تحيط بها القمم البيضاء، وتتبعثر عند قدميها أمواج البحر، هنالك أودُّ أن أعيش فكرة.. وأحب بسلام.

وهنا.. بين أعواد المشانق.. وأمام الجراح النازفة، وفي أرض تتميّز فيها سياط الجلاّدين غيظاً وهي تضرب أجساد المظلومين، هنا في أرض الظلم السياسي، والتعفُّن الاجتماعي، هنا أريد أن أحمل سلاحي وأناضل، ففي مثل دنيانا لا يمكنني أن أحلم إلا بجنة واحدة.. هي تلك المزروعة وراء حدود الموت.. الموت في سبيل الله.

﴿٢٤٨﴾ «قلتُ. . فقال»

قلت له: ما رأيك فيما أكتب؟

قال: ما مدى استعدادكِ لالتزام الصدق فيما تكتبين؟!.

قلت له: هل تعجبك هذه السطور؟.

قال: هل أعددت نفسكِ للامتحان في كل كلمة كتبتِها؟

قلت: ماذا تقول في كلماتي؟

قال: ماذا قدّمتِ للإسلام في ميدان العمل؟ وماذا ستقدّم هذه الكلمات للذين يريدون أن يعملوا!؟».

﴿٢٤٩﴾ على الأديب المسلم الملتزم، أن يكون مستعداً دائماً لإثبات جنديَّته في ميدان المحنة.

هكذا كان كل الذين بقيت كلماتهم خالدة حية تعيش في قلوبنا، لأن أصحابها قالوها، وبرهنوا على صدق مقولاتهم، أما أولئك الذين يحملون أقلامهم دون أن يصمدوا أمام محنة، وليست عندهم القدرة على التضحية بشيء في سبيل الله، فإن كلمات هؤلاء ستموت سواء ماتوا، أم استمروا على قيد الحياة.

٢٥٠ قال: هؤلاء المجاهدون.. قوم مجانين جرُّوا الناس إلى الهلاك.

قلت: يا سبحان الله، لو كان النصر حليفهم لما كانت كلماتك هذه من نصيبهم.

قال: عرفنا منذ البداية أن طريقهم خاطىء، فنحن غير مستعدِّين.

قلت: ولماذا لم تنصحوا نصيحة الصادق الأمين؟ ولماذا لم تستعدُّوا من قبل، وكم من القرون تحتاجون إلى الإعداد.

قال: نحن كنا موجِّهوهم وقد شبُّوا عن الطوق وتهوَّروا.

قلت: ولماذا لم تحسنوا تربيتهم على الاتزان والتريُّث، ولم تأخذوا بأيديهم إلى سبل السلامة والصواب الخالص لوجه الله، ولم تعلِّموهم بسلوككم الدأب والثبات لاستصلاح الأرض قبل التعجُّل بقطف الثمار، أشعلتم فيها ثورة ما آن أوانها، فلما استجابوا لكم ولنداء العواطف دون وعي، تركتموهم في الساحة وفررتم باحثين عن الأمن.

مَن المسؤول عن هذه المجزرة المزدوجة؟.. مَن؟.

﴿٢٥١﴾ تفكَّرتُ في المحن السياسية والاجتماعية التي أصابت الحركات الإسلامية في الخمسين عاماً الأخيرة، فما وجدت سببها عدم الاستعداد كما يقولون، إنما تفرّق الكلمة، وتشتّت الأمر، وعدم وحدة الصف، وإهمال أحوال الجماهير، ومحاولة القفز فوق المحنة الاجتماعية إلى المحنة السياسية، وتهوين أمر المحنة في الدين.

ووجود الكثيرين من العلماء.. الذين يقولون ما لا يفعلون، ويظنون الإسلام ميزة ثقافية يتحلّون بها بعيداً عن غبار الجهاد الشعبي والنزول إلى طبقات الشعب لإخراج الناس مما هم فيه من جهل وضياع.

واهتمام الجماعات الإسلامية بتربية شبابٍ حماسُهم يسبق علمهم، وطاعتهم لأساتذتهم تسبق امتثالهم لأمر الله وأمر رسوله.

﴿٢٥٢﴾ كيف ألوم النعجة التي يئست من الهرب من الذئب، إن هي حاولت بقر بطنه بقرنها؟!.

﴿٢٥٣﴾ ليسَ نصراً أن تأتي بعدوّك، وتمزّق جسده، وتحرق قدرته على الصبر، وتضعه تحت ضغوط نفسية وجسدية ليعترف بأن ثورته على الباطل كانت جريمة.

إنما النصر.. الاعتراف بالخطأ والتقصير، والقدرة على تجاوز الأنا لخدمة الشعب المنهوك المقهور، وأن تخطو خطوة سليمة نحو الحرية والكرامة والعدل، لعلك بذلك تصلح شيئاً مما أفسدته خلال عقود من الزمان.

﴿٢٥٤﴾ من أعظم الأخطاء التي ترتكبها الحركات الإسلامية أن تربّي أتباعها على الشعور بالانتماء إليها أكثر من شعورهم بانتمائهم إلى الإسلام.. وأفدح من ذلك، الخطأ الفكري الشائع بين شباب الحركات الإسلامية وهو أن يظن هؤلاء أن آباءهم وأمهاتهم ومجمل المسلمين والمسلمات إنما هم كفرة قد شاقُّوا الله ورسوله لمعصية ارتكبوها، أو فسوق عن أمر الله وقعوا فيه، وقد نسي هؤلاء الشباب أن أمهاتهم وآباءهم لم ينشؤوا في مثل الظروف التي نشأ عليها هؤلاء الشباب، ولم يتح لهم المجال لتلقِّي تربية إسلامية، ولا توجيه ديني حكيم، وإنما شبُّوا في ظل عهد الاستعمار الذي تلاه عهد الشعارات ثم استقرّ عهد الاستبداد.

﴿٢٥٥﴾ علينا أن نكفَّ عن ترديد المثل القائل: (مَن علّمني حرفاً كنت له عبداً) فلسنا عبيداً إلا لله

وحده، كما علينا أن نكفَّ عن تربية أولادنا على تقبيل الأيدي، فالجميل لا يردّه الولد لأبيه وهو يقبّل يديه ورجليه، إنه برٌّ ومعاملة سمحة طيبة وجدار قوي يستند إليه الأب في شيخوخته.

علينا أن نكفَّ عن تنشئة جيل يُطأطىء الرؤوس مهما كان السبب الذي يطأطىء رأسه من أجله، وما لتقبيل الأيدي أصل في الإسلام، إنما هي عادات جاهلية ورثناها عن الفُرس ومَن شابههم من تلك الأمم التي اعتادت الركوع والسجود لغير الله.

٢٥٦ لماذا لا نعلّم أولادنا تقبيل جباهنا بدلاً عن الانحناء لتقبيل أيادينا؟ حتى يتعلّموا العزّة للإسلام، ورفع الرأس، لتصافح جباههم رؤوس المآذن الشامخات دائماً.

٢٥٧ إنني لا أستطيع أن أتصوّر وجود رجل يقول ربي الله، يطلب ـ أو يرضىٰ ـ من زوجته أن تركع لتقبيل يده أو رجله!!.

لا أستطيع تصوُّر ذلك.. لكنه حدث، ويحدث، وما يزال يحدث في عشرات الآلاف من بيوت المسلمين ـ وفيهم الدعاة وكبار العلماء ـ باسم

الإسلام، والإسلام من هذا الإذلال الشاذ بريء.

إنني أقول: لا أستطيع تصور ذلك، لأنني لا أستوعب الكيفية التي يفكر بها رجل مسلم وهو يجرح كرامة امرأة مسلمة، استودعها الله أمانة عنده، فيثير في قلبها حقداً دفيناً على نفسها وعلى حياتها وعلى الإسلام الذي تُرتكب مثل هذه الحماقات باسمه ـ وهو منها بريء ـ ولو أخفت ذلك، وأنكرته في نفسها، وأرغمت نفسها على الرضىٰ بهذا الوضع الشاذ الذي اجتهدتُ اجتهاداً كبيراً في استخراج أصول له من الكتاب والسُّنّة فلم أجد له أيَّ أصل في ديننا[1].

---

(١) أحببت أن أنبّه إلى أن ما نشره الأستاذ عبدالله علوان رحمه الله في كتابه (تربية الأولاد في الإسلام) ١/ ٢٤ تحت عنوان «تقبيل يد الكبير» هو مجرد استنباط من بعض أحداث وقعت للصحابة مع رسول الله ﷺ، ولا يوجد أي نص صريح يأمر فيه الشارع أن يقبّل الولد يد أبيه، أو أن تقبّل الزوجة يد زوجها، أو يد أحد من أهله، وفي النص الصريح في حديث السجود جاء النص مصدَّراً بلفظ لو.. لو كنت آمراً أحداً ولكنه ﷺ لم ولا يمكن أن يأمر أحداً بالسجود لأحد إلا لله عزّ وجل والله أعلم، ومعاملة رسول الله بتقبيل يده ورِجله ـ لو صَحّت ـ وهو أفضل الخَلق لا تقتضي معاملة أحد سواه من بني البشر على هذا النحو، ﷺ.

﴿٢٥٨﴾ محبة الزوج ومودّته، لا تعبّر عنها الزوجة بتقبيل يده ورِجله، ولكن بمحبة ومودة مماثلتين، وطاعة وعون له على طاعة الله في السرّاء والضرّاء. والأجدر بالرجل المسلم أن يحوز على طاعة زوجته بالحب واللطف والتسامح، والتوسُّع عليها بجيِّد الأخلاق، وزرع الثقة في نفسها: الثقة في الله، والثقة بنفسها، والثقة به.

﴿٢٥٩﴾ ما كل الرجال يستطيع ضبط أعصابه، فلا يسمح لظروفه الخارجية أن تجد متنفَّساً لها في علاقته مع زوجته، وما كل النساء يستطعن ضبط أعصابهن ورحمة أولادهن من أن يكونوا ميداناً لما تعانيه الأم في علاقتها مع الأب.

﴿٢٦٠﴾ إن رجلاً مسلماً ملتزماً بالإسلام، يطلب من زوجته أن تركع بين يديه لتقبّل يده أو رجله ـ لتعتذر من خلال ذلك عن ذنب ارتكبته، أو لتعبّر له من خلال ذلك عن عرفانها بجميله ـ إنما هو رجل مريض مرضاً عضالاً في عقله، ونفسيته وإيمانه، حتى لو كان مفوّهاً وخطيباً في الدعوة إلى الله من فوق المنابر، وعليه أن يطلب الشفاء لنفسه من قبل أن ينتقل المرض إلى زوجة لن

تستطيع أن تربّي ـ وهذه حالها ـ إلا أجيالاً مريضة خانعة ذليلة!.

٣٦١ أعجبُ أشد العجب من رجال مؤمنين، ونساء مؤمنات، نُشّئوا على شذوذ فكري، وتخلُّف سلوكي، وعادات عفنة مخزية، تدمّر أول ما تدمّر العزّة في النفوس بالإسلام، وتحرق أول ما تحرق شعور الإنسان بالكرامة.. أعجب أشد العجب أن تستمر الأجيال جيلاً بعد جيل على نفس الخطأ، والشكوى والأنين، والهمس بالآلام دون أن يجرؤ أحد على أن يبدأ التغيير من نفسه.

٣٦٢ وكأنه لا يكفي نساء بلادنا تقبيل أيدي الرجال ذليلات خاضعات، حتى يُطلب إليهن تقبيل أيدي آباء الأزواج وأمهاتهن.. عجباً لأمة مسلمة هذه هي طرق التعبير عن المشاعر النفسية للإنسان فيها.

٣٦٣ لا تعجبوا من رجال يركعون للشهوات والطواغيت، فلقد ربّتهم نساء راكعات ساجدات للأزواج.. لا رضىً منهن ـ ولا تجد امرأة تستشعر عزّة الإسلام لحظة من آناء الليل وأطراف النهار ترضىٰ بهذا ـ وإنما قهراً وإذلالاً وإرغاماً.

٣٦٤ كلمة الحق مرّة، مريرة..

يشبِّهون المرارة بالحنظل، ولا أعرف طعم الحنظل، لكنني عرفت طعم قول الحق، وكلمة الحق.. ولقد قلتها ودفعت الثمن غالياً جداً، وما أزال أدفعه، وسأقولها ما دمت أعلم أن الله ربي، وأن هذه أمتي مريضة، مشلولة الحركة، مكبَّلة بأمراض نفسية واجتماعية تفتك بإنسانها فتمنعه من القيام بحركة.. أية حركة إيجابية نحو النور والحياة.

ولن يثنيني عن قول كلمة الحق تجبُّر طاغوت، ولا حقد منافق، ولا ضيق أخ حاسد لا يريد الاحتكام إلى الحق، ولا ألسنة الخلق التي تحارب الحق أينما وُجد، وهذا دأبها منذ نطقت بالكلام، ولا كل المحاولات التي تريد إخراس صوت الحق الذي ينطلق من فهم حقيقي للإسلام يحاول أصحابه جاهدين تنظيف أفكار الناس مما علق بها من رواسب الجاهليات القديمة والحديثة جميعاً.

٣٦٥ تعلّمت في عامين من الغربة ما لم تعلّمنيه الحياة في عقدين من العمر، ففي الغربة تظهر معادن الناس كما هي دون أقنعة ولا أصبغة، كثيرون منهم يُبدون ما كانوا يُخفونه لولا السفر، وأكثر

من هؤلاء الذين لا صديق لهم في السر والحقيقة، ولهم ألف حبيب في العلن.

٣٦٦ العاقل مَن لا يسمح لنفسه بالتورط في علاقة ليس لها من الأخوة في الله إلا الاسم، فهو يقدّم الكثير من الحب والتسامح والتجاوز والصبر، واحتمال الأذى باسم الأخوّة في الله، ولكنه سيكتشف بعد حين أنه أساء التصرُّف، فإن الله لا يكلّف نفساً إلا وسعها، ولم يكلّف الله أحداً أن يستمرّ في تسميم روحه، وتخريب أخلاقه، واستنزاف قدراته النفسية والفكرية من أجل أناس يَدَّعون الأخوّة في الله، ولا يعرفون منها ولا من حقوقها شيئاً.

٣٦٧ مرات قليلة جدّاً في حياتي، اضطررت فيها إلى الابتسام في وجوه البعض لأتّقي شرورهم، وفي كل مرة كنت أفعل ذلك كنت أَئِنّ تحت طرقات تأنيب الضمير، مع أن في ذلك الفعل مندوحة شرعية، كيف يعيش هؤلاء النمّامون المنافقون المغتابون المراؤون في سعادة، يوزِّعون الابتسامات، ويطبعون القبلات على وجنات ضحاياهم، ثم ينامون بعين قريرة هانئة؟!. لست أدري.

﴿٣٦٨﴾ كثيرون مستعدُّون، ومتأهِّبون، ومتحمِّسون، لنقل السيئة عنك إذا فعلتها، وإليك إن قيلت في غَيْبتك. ولكنهم قليلون جداً، وربما نادرون أولئك الذين يُحبون أن تشيع الحسنة، ويُحبون إصلاح ذات البين بالكلمة الطيبة، والذين يُحبون أن يصل إليك ذكرٌ حسنٌ ذكرك به أحد إخوانك في ظهر الغيب.

﴿٣٦٩﴾ كثيراً ما سألت نفسي: أهناك عيب أعظم من الجهل؟.

ثم رأيت صنوفاً من الجهل عجيبة، رأيت الجاهل يُخرس العالِم وينطق بالغباء، ورأيت الكذاب يقول ويسمع له الناس ويطيعون، ورأيت الأحمق يتطاول بقلّة عقله وسوء تصرفه ليسود الناس بالنفاق، ورأيت التافه السخيف دخل بين أناس اجتمعوا على اسم الله فقطع العلائق بينهم وزرع البغضاء والشحناء وأشعل فتنة لا تنطفىء.

فأدركت أن أعظم من الجهل، الجهلُ بالجهل، جهل المرء بجهله، وجهل المرء بجهل خليله.

﴿٣٧٠﴾ من أعجب ما رأيته.. أن أناساً يدّعون الدعوة إلى الله، ويقومون على رأس عمل إسلامي..

يمنعون شاباً من العمل في سبيل الله بكل ما أوتوه من قوة وقدرة على التثبيط، والتحجيم والتشهير، والجرح والإيلام، يفعلون ذلك كله بدعوى أن عمل الشباب يثير الغيرة فيما بينهم، ولا بد من انتظار شيخ للقيام بهذا العمل، وهذا والله أعجب ما سمعته في ميدان العمل الإسلامي على الإطلاق.

﴿٣٧١﴾ الاختلاف سُنّة من سنن الفطرة في تركيبة الإنسان، وكيف تحيا وتتحرك المجتمعات الإنسانية، وتدبُّ فيها الحياة دون اختلاف وأخذ وردّ ونقاش ونقد وصولة وجولة؟.

﴿٣٧٢﴾ إن الذين يدّعون الجهاد، وهم ماكثون وراء حدود المحنة في الأنفس والأموال والأهل والدين، ليسوا إلا مجرمين يحاولون بناء أمجاد شخصية من عرق ودماء وآلام الشباب الذين دفعهم القهر الاجتماعي بالدرجة الأولى، ثم سوء التوجيه الحركي في الدرجة الثانية، ثم الظلم السياسي والفساد الاجتماعي إلى استعجال الثورة.

وعلى الرغم من ذلك ثبتوا وقدّموا أغلى التضحيات دون أن يفكر واحد منهم أن يولي

الساحة ظهره إلا لظروف قاهرة نزلت بمن بقي منهم على قيد الحياة!.

٢٧٣ أيُّ شباب هؤلاء.. الذين زهدوا في الدنيا، وعشقوا الشهادة في سبيل الله، شرّدت أسرهم، وقُتّل أهلوهم، واعتُقلت أمهاتهم، وهُتكت أعراضهم، وهم ثابتون شامخون، لا يُبالون على أيِّ جنب كانت في الله مصارعهم، يتوسَّدون التراب في أوقات لم يُبقِ لهم الطغاة فيها مكاناً يأوون إليه، ويلتحفون رحمة الله، ويقيتهم الحب في الله، وتُشرق أعينهم بألف شمس تنير لشعبهم درب الحرية.

عشقوا الشهادة في سبيل الله، حتى بات الاحتباس في الأرض عن اللحاق بإخوانهم وكأنه عقوبة حلّت بهم.

تُرى لو تهيّأ لهؤلاء الشباب توجيه سليم، وقيادات متوازنة ترتفع بهم إلى مستوى حاجة الإسلام، وتُبصّرهم بالأرض التي عليها يقفون، وتعي هي قبلهم من أين تبدأ العمل، أكان حالهم كما هو عليه اليوم من تشرُّدٍ في رحاب الأرض، يبحثون عن مخرج فلا يجدون، وقد خلّفوا وراءهم الأهل والمال وحتى تلك الوثائق التي تُثبت درجات

تحصيلهم العلمي، وجاؤوا إلى بلاد لا يجدون فيها لقمة العيش، وإن وجدوها لا يجدون العمل، وإن وجدوه لا يجدون الاحترام، وإن وجدوه لا يجدون الأمن ولا الاستقرار.

﴿٢٧٤﴾ عذاب الحرّ في تحكُّم الطغاة فيه.

وعذاب الثائر في عزله عن أرض الثورة.

وعذاب الأديب في منعه من التعبير عما يجيش في نفسه.

﴿٢٧٥﴾ نحن ما زلنا عرباً جاهليين، ما تزال لدينا صفات الجاهلي كاملة، وما نزال وفي أعماقنا العصبية العمياء.

كل ما يصدر عن غيرنا ـ ولو كان أخاً حميماً ـ مرفوض حتى لو كانت فيه وجهة نظر، وكل ما يصدر عنا شخصياً حق وصواب، حتى لو كان عين الخطأ.

ما زلنا نرتدي الأفكار أزياءاً، ولم تنقلب الأفكار في نفوسنا ولا في عقولنا إلى أعباء حقيقية تحثُّنا على حمل المسؤوليات التي تخدم هذه الأفكار وتبثّ فيها الحياة والحركة.

ما زلنا نتزيًا بأفكارنا ولا نعيشها ولا نغيّر بها أحوالنا.

ما زلنا ندعو الناس إلى الالتزام بمبادىء نحن أعجز الناس عن الالتزام بها لقحطٍ أصاب قدراتنا النفسية ولانعدام الصدق في قلوبنا ونفوسنا، حتى بتنا أمهر الناس في الكذب، وفي الكذب على أنفسنا خاصة!.

ما زلنا عند كل امتحان نخلع كل زيّ، ونعود إلى جاهليتنا وعصبيتنا وفرديتنا وأنانيتنا، نعود أعراباً جاهليين مستعدّين للضرب والخمش واللّكم والانتصار لأنفسنا بكل وسيلة ممكنة، ما دامت (الأنا) فينا قد مُسَّت ولو عن طريق غير مباشر.

ما فتئنا نلبس أردية القتال، ونتوشّح سيوف الثأر، ولا نعرف كيف نخمد الفتن في مواقعها، ولا كيف نبتسم في وجوه بعضنا البعض إثر خلاف فكري، ولا كيف نمدّ أيدينا لبعضنا البعض لنتصافح بعد كل نقاش ومشاجرة.

ما زلنا نراوح في أماكننا كأوتاد خيمة أجدادنا.. ولم يفعل الإسلام فينا فعله بعد ليحرّكنا من جوار الخيمة لنطوف مع عباد الله حول الكعبة في حركة دائبة لا تهدأ.. نحو الأمام.. لا تلتفت قط إلى الوراء إلا للاعتبار.

﴿٣٧﴾ يا رب ساعدني لأستطيع السير في الحياة، وأنا

أملك عقلاً نيِّراً، وروحاً صافية، ونفساً مطمئنة وقلباً مخلصاً.

ساعدني يا الله على السير في طريقي بثبات، واتِّزان، وتصميم.

يا رب..

ساعدني لأرضىٰ وأغضب لك وحدك، وأحب وأكره لك وحدك، فتلك أوثق عرى الإيمان.

٣٧٧ إذا لم تستطع أن تنزع الحقد من قلبك، وتملأ قلبك بالصفاء عقب كل خلاف فكري مع أخ لك في الله.. فأنت في مكان بعيد جداً عن صفوف طلائع النور الذين اصطفاهم الله لتغيير أحوال الناس بالإسلام العظيم.

٣٧٨ رحم الله الأيام التي كنا نحسب فيها الجهاد بالسلاح أعظم أنواع الجهاد معاناةً، فلقد علَّمتنا الأيام اللاحقات أن في الحياة أنواعاً من الجهاد، تفوق جهاد السلاح ألماً ومعاناةً، وتحتاج منه إلى ثبات الجبال، ونزاهة الملائكة، وصبر عظيم.

وتبقى الشهادة في سبيل الله أسمىٰ وأعظم وأجمل وأبهىٰ مرتبة يطلبها الصادقون في كل آن.

ـ ٥ ـ

«أنت الربيع. .

فأي شيء في الحياة إذا ذَبُلتَ

أنت المضاء. .

فأين تنطلق الحياة. . إذا مللت

أنت الحياة!

فقم إلى الأنحاء وانظر ما فعلتَ

كن مسلماً. .

لا تخشَ إلا الله. .

لا تخشَ إلا الله. . حتىٰ لو قُتلت».

﴿٢٧٩﴾ كلما جلست إلى واحد من هؤلاء المفكِّرين الذين أنجبتهم الإنسانية، واستمعت إليه وهو يتحدّث إلى الناس من خلال كلماته المسطورة، شعرت بالآلام تتفجّر في كل حرف من كلامه.. يشتكي عصره والناس من حوله، وتنكّرِهم له، وسوء معاملتهم، وقلّة وفائهم وحيائهم، كل منهم اشتكىٰ زمانه وزهد إخوانه وخِلاّنه في علمه وأدبه، فهل كل الأزمنة تُشتكىٰ، أم أن كل هؤلاء العظماء كانوا غرباء؟!.

﴿٢٨٠﴾ يكفيكَ أن تكون صاحب فكرة تفتديها بالروح والمال والسمعة والأمن والراحة.. وتصرّح للناس بذلك حتى تجعل من نفسك هدفاً لكل قبيح وإيذاء بليغين.

٢٨١ يظن بعض الإخوة أن التباسط، ورفع الكلفة، والتلفُّظ بالقبيح الفاحش من الكلام، وعدم الاحترام المتبادَل، هي دلائل على صدق الأخوّة، فيتمادَوْن في الأذى إلى حد خمش الحياء وجرح الكرامة، وقد نسوا أن الأُخوّة في الله: خلق رفيع، وأدب جمّ، واحترام متبادَل، وحفظ للحقوق والخَلَوَات، وأمر بمعروف، وقبول للنصيحة بصدر رحب، وتسامح، ومودّة، ورحمة، ومبالغة في التقدير، ووقوف عند الحدود، ومعرفة الفضل لأهله.

٢٨٢ الشهيد.. مسلم سطّر بدمه كلمات الحق، لتحيا في نفوس الناس معانٍ عظيمة تعلّمهم الثبات في سبيل هذا الحق.

٢٨٣ لا تُكتَم صيحات الشعوب بقوة النار والحديد، لكنها تُسكَت بالعدل وتُرضىٰ بالحرية.

٢٨٤ التقىٰ قزم جميل بعملاق مشوَّه.. واصطحبا في بعض الطريق.. قال القزم للعملاق: إنك مشوَّه.

قال العملاق: ولكنني عملاق.

قال القزم: إنني جميل!.

قال العملاق: ولكنك قزم.

ولم يستطع القزم أن يصير عملاقاً رغم جمال صورته، ولم يستطع العملاق أن يتقزّم، فافترقا.

﴿٢٨٥﴾ يظنُّ العامة أن الإسلام قد انهزم بانهزام بعض الفئات الداعية إليه..

إنما هي جَوْلة.. وإنما ذلك من عند أنفسنا، فليبحث الناس عن سبب الهزائم المتصلة، في أنفسهم، وفي سلامة تطبيقهم للإسلام الذي يستشهد في سبيله المخلصون.. وفي حسن فهمهم لهذا الدين الذي يريدون له أن ينتصر.. تُرى لو انتصر هل يكونون عند حسن ظنه بهم؟.

﴿٢٨٦﴾ إن الشعوب ولو نامت.. لا تنام إلى الأبد، لا بد أن تجتاز الأزمات، وتكفكف الدموع، وتثور مدمرة بناء الطغاة مهما كانت أسسه قوية ضاربة في الأرض، وما من مرة تفكّرت في هؤلاء الطغاة إلا ورأيتك، ورأيتني، في أول القائمة.

فليبدأ كل منا بنفسه.. فلئن استطاع تحويلها من صفوف الطغاة إلى صفوف المجاهدين، فلقد أتىٰ عملاً عظيماً.

﴿٢٨٧﴾ سنّة طبيعية من سنن الحياة، اعتادت عليها البشرية منذ خلقها الله.. كلما نامت الشعوب وعلا

شخيرها، وطغىٰ الناس فيها بعضهم على بعض، وفسد الحرث والنسل، سلّط الله عليهم طاغية يهزُّهم بطغيانه من سباتهم.

لقد خُلقنا في الأرض لنجاهد ونكابد ونعمرها بعبادة الله الذي أكرم بني آدم.. لا لننام ونشخُر.

﴿٢٨٨﴾ تعريفات مقلوبة.. في بلادنا فقط.

التقدمية ـ في بلادنا ـ: أن تطأطىء رأسك، ويتبلّد إحساسك، فتنفّذ أيَّ أمر يخترعه الآخرون دون تفكير، وأن تعطل كل قواك ومواهبك الإنسانية عن العمل، وتسير مع القطيع، لا شأن لك في الوجهة التي يَمَّم شطرها، ما دُمت قد سَلّمت قيادك للراعي..

والرجعية ـ في بلادنا ـ: هي أن تأبىٰ الذلّ والهوان، وأن تعتزّ بدينك وفكرتك، وأن تحاول تصحيح التاريخ وجعله ناصعاً بيّناً، وأن تشعر ولو مرة واحدة أنك إنسان.. حرٌّ.. كريم.

﴿٢٨٩﴾ لو أن كل حاكم في العالم الأول والثاني، سار على نهج حكام العالم الثالث والرابع والخامس.. والخامس عشر لاستبدلت أوربا بمجالس الشعب فيها، حظائر للببغاوات والقرود.

﴿٢٩٠﴾ ماذا يستطيع أعداء الله أن يفعلوا سوى تمزيق الأجساد، وقلع الأظافر والعيون، وكسر العظام، وقهر النفوس، وتحطيم الشموخ، وتعليق الأحرار على أعواد المشانق؟.

لن يستطيعوا أكثر من ذلك لأن أعمارهم لن تمهلهم ليشنقوا فكرة.. فكرة أصلها دين نزل به الروح القدس الأمين على الرسول الأمي العظيم من عند جبار مهيمن عزيز.

﴿٢٩١﴾ أنا ضعيف.. أنا مريض..

أنا غريب..

أنا.. إنسان..

من لي سواك يا الله؟.

﴿٢٩٢﴾ أعظم عدو للطاقات التشتُّت وعدم التركيز، وأثقل مِعْوَل يهدم الفعاليات، هو افتقاد المرء مبرر وجوده في الجماعة، بسبب تنكر الإخوان، وسوء فهم أولي الأمر، وإهمال المرء لنفسه واتباعه الهوى.

﴿٢٩٣﴾ أنت دون أسرة قوية متماسكة متحابّة متفاهمة، لست سوى قمامة في هذه الحياة، تردّك الأبواب التي تطرقها طالباً ملجأ.

الناس لا يحبُّون الغرباء، والمرء غريب دون أسرته، مهما فعل من أجل الحصول على وطن.

٢٩٤ أول حصن دكّه أعداؤنا . . الأسرة المسلمة.

وآخر حصن دكّه أعداؤنا . . الأسرة المسلمة.

والحصن الوحيد الأول والأخير الذي سيداوم أعداء الإسلام على دكّه دائماً دون كلل ولا ملل هو الأسرة المسلمة . . لأنها المنفذ الوحيد إلى دمار الأمة الإسلامية، أو بعثها وقيامها بأعباء رسالة التوحيد من جديد.

٢٩٥ الذين دعَوْا إلى تحرير المرأة المسلمة دون حدود ولا قيود ساهموا مساهمة جديّة في تدمير الأسرة المسلمة.

والذين استعبدوا المرأة المُسلمة باسم الإسلام دون فهم ولا وعي ولا إنسانية ولا رحمة . . عملوا جاهدين ـ من حيث يَدْرون أو لا يدرون ـ في القضاء على الأمل الوحيد الذي بقي لهذه الأمة للنجاة.

الخطوة الأولى في حركة البعث المنشودة، إنقاذ المرأة المسلمة من براثن المتحررين، ومن مخالب المتعصبين، وإعادتها إلى إسلامها كما نزل، حرة،

كريمة، محافظة، إنسانة، مربية لأجيال تعفّنت يوم فقدت الأمهات المسلمات روح الإسلام العظيم، وانسحقن بين حَجَرَيْ طاحون التفلُّت السمج، والتعصُّب القذر.

٢٩٦ المرأة المسلمة كانت وما تزال في أمر عظيم، تتخبّط ويتخبّط المجتمع من حولها بين الإسلام الحنيف وبين رواسب الجاهلية.. ولن ينجو من هذا الصراع من النساء والرجال إلا مَن رحم ربي.

٢٩٧ إنها لا تعجبهم إلا إذا كانت خرساء، صمّاء، عمياء، نعجة في قطيع السوائم، أمة في سوق العبيد، دمية تستوفي شروط الدمى، أو حلية تعلّق للتباهي بها وقت الحاجة، لا رأي لها ولا شعور ولا عواطف ولا دموع ولا لسان. هكذا تعجب المرأة شبابنا مهما تظاهروا بالتحرُّر أو التديُّن، ومهما زيَّفوا لأنفسهم وللآخرين إرادتهم الحقيقية، ومهما طالت السنوات التي قضوها يدافعون عن قضية المرأة.

ما رأيت ممن شذَّ عن هذه القاعدة إلا مَن يُعَدُّون على أصابع اليدين، وأعجب من ذلك أن المرأة لا تعجب النساء في بلادنا إلا إذا كانت هذه هي صفاتها كذلك.

٢٩٨ لماذا لا يفكر الناس في تلك الكومة من الأحجار الملقاة هناك في ظل الحياة، كيما يبنون منها كوخاً صغيراً تسكن فيه سعادة إنسان.

٢٩٩ من ألأم اللؤم أن تسمع ذكر أخيك بالخير ولا تبلّغه إياه، وألأم من ذلك الذي يبلّغ الذكر بالسوء.. وألأم الثلاثة على الإطلاق الذي يؤذيه مدح أخيه الغائب في حضرته.

٣٠٠ مقياس الحب في الله أن تفرح إذا مُدحَ أخوك وتزيد في مدحه، ومقياس البغضاء أن تغضب إذا ذُكِرَ أخوك بخير وتذكر ضد ذلك، وهذا مقياس لمبلغ الحسد في نفسك كذلك.

٣٠١ لا تسكت عن رأيك فيما أفعل، ثم تشهّر بي من وراء ظهري.
ولا تهزَّنَّ رأسك أمامي موافقاً، ثم تعضّ على أصابعك غيظاً بعد أن تغلق بابك ورائي.
ولا تصمتنّ عن نصيحة تجد لها مكاناً قط، فَرُبّ نصيحة خرجت صادقة من قلبك، غيّرت أوضاعاً سيئة اندفع إليها أخوك دون أن يدري.

٣٠٢ صديقك الوفي هو الذي يمتدحك في غيابك، ولا

يترك نصحك وإهداءك عيوبك فيما بينه وبينك، وعدوُّك اللدود ذاك الذي يأخذك بالأحضان ويطعنك من الخلف.

٣٠٣ الكتابة مهنة عجيبة، وهي أعجب في بلادنا.
آلاتها آلام وجراح وقلق وأرق، وهي أكثر عذاباً في بلادنا.
يدفع صاحبها ثمن كلماته من أعصابه التي تحترق، وحياته التي تذوب.. وسُمعته بين الناس، وأحياناً من دمه وجراحه، ولا يعرفون له قدراً في بلادنا.
الكتابة موهبة ومهنة، آلام وأمل، شموع تحترق وضياء.
الكتابة.. مهنة الذين صفت قلوبهم وصقلت الآلام عقولهم، فتحدَّثوا بلسان قومهم، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرّاً فشر.
إنها مهنة الغرباء.. وهي أكثر غُربة في بلادنا.

٣٠٤ أكره الحَرّ.. لأنه يعطيني شعوراً قاسياً بحقيقة الحياة.
وأكره اللحم، لأنه يذكّرني بالذبح.
وأكره الظلم.. لأن الموت عندي أرحم من حياة دون حرية.

٢٠٥ لماذا يكون السيف وراء الحرية دائماً؟ والشغل وراء القلم؟ والمرض وراء الحياة؟ والوقت وراء الإنسان؟.

يطارد السيف الحرية حتى منصة المشنقة.

ويطارد الشغل القلم حتى يدفنه وهو حي يُرزق.

ويطارد المرض آمال الحياة فيلجمها عن الانطلاق إلى ما تريد.

ويطارد الوقت الإنسان فلا يسمح له بإنجاز كل ما يحلم به في هذه الحياة.

٢٠٦ الموت.. أرحم من العبودية.

وهو أرحم من حياة يضطر فيها الناس إلى التمثيل والنفاق والكذب على أنفسهم وعلى الآخرين لينالوا قدراً من الاحترام المزيَّف، وقدراً من الشعور بالذات.

٢٠٧ غرور الشباب يزيِّن له القدرة على التغيير في لمح البصر، وما أن تمرَّ عليه سنوات، حتى يدرك بالتجربة الواقعية، والمكابدة، والمعاناة، أن الحياة أقبح بكثير مما كان يظن، وأنها على الرغم من ذلك مليئة بما يستحق التضحية بأشياء كان يراها في منتهى الأهمية من قبل.

٣٠٨ أنظر إلى الحياة من نافذة قَصْري الذي شيدتُه بقلمي في حديقة السوسن والياسمين، وأرى أطفالي يمرحون في شرفاته المذهّبة.. فأراها غيمة ربيعية، وزهرة بنفسجية، ونغماً ساحراً، وطفلة رائعة تتهادى بألف حُلّة من الطهر والعفاف والآمال.

ثم أنظر إلى الحياة من نافذة بيتي المتواضع الكائن بين آلاف البيوت المتواضعة يقطنها آلاف الناس من كل لون وعِرق ودين وانتماء اجتماعي وفكري وسياسي، وأرى آلامهم ودموعهم، وآمالهم وبسماتهم، معاناتهم، ومكابدتهم، مشكلاتهم الكبيرة والصغيرة.. الموت والحياة، الخيبة والنجاح.. السعي المستمر نحو تحصيل أهداف زرعوها في عقولهم واجتهدوا في الهرولة وراءها..

أنظر إلى الحياة.. من نافذة نفسي وروحي وقلبي وفكري.. وبين هذه النافذة وتلك.. أجد طريق الحياة جميلاً رائعاً.. أجده جديراً بالعمل.. جديراً بالتضحية.. جديراً بالصمود.. أجده زاخراً بكل عظيم.. أجده زاخراً بكل معاني الحياة ما بين الوهم والحقيقة، ما بين الأبراج العاجية وحقيقة الكفاح المرّ مع الجماهير..

من هنا تنبع لذة العمر، ومن هنا تتفجر ينابيع الصفاء والرضى في البذل.. هذه هي أفراح الروح[1].. هذه هي حقيقة الحياة، حياة الجهاد.. في سبيل الله.

﴿٣٠٩﴾ قالت: لقد تغيَّرت الحياة، وكثرت المشكلات، وازداد الهم.

قلت: الحياة لم تتغير، وإن تغير شكلها، والهموم لم تزدد، وإن صار إدراك الناس لهمومهم أعمق من ذي قبل، إنما نحن الذين كنا صغاراً لا نعرف الحياة، أو لا نعرف منها إلا ما نضحك منه الآن، والآن كبرنا لنكتشف ما كان بانتظارنا دون أن يُعدّنا أحد لمواجهة هذا العبء الثقيل.

﴿٣١٠﴾ «شعراؤنا.. وشعراؤهم»

اعتاد شعراء دمشق خلال فترة النضال ضدّ الاستعمار، على رؤية الفل والياسمين والحارات العبقة بروائح النارنج، والدافئة بتآلف الناس وحبِّهم بعضهم بعضاً، وعلى الرغم من ذلك فقد ندر منهم مَن أبدع في غير رسم الفل والياسمين،

---

(١) التي تحدّث عنها سيد قطب في كُتيبه (أفراح الروح).

كما ندر فيهم من حكى معاناة شعبه وهمومه، وكتب ـ ولو بآلامه ـ تاريخ بلاده في ذلك الحين.

أما جيلنا ـ جيل النكسة ـ فلم يعتد إلا رؤية هدم حضارة بلده، وطمس معالم رونقها وجمالها، فاصطدمت مخيلة المبدعين برؤية البيوت الضيقة، والحارات القذرة المكتظة بالكادحين المتذمرين، فلم تستطع الانفلات لتحلّق في عوالم الطبيعة الغنّاء.

وعاش أولئك أحراراً فكتبوا أشعاراً ضلُّوا بها الطريق وهم يبحثون عن وسيلة لتحرير المرأة، فنصّبوهم ملوكاً على عروش الحب الغريب عن لحمة الناس وفهمها وهمومها، ونعيش اليوم عشّاقاً للحرية.. ونكتب بدمائنا صفحات الحب الخالص للإنسان من خلال عقيدتنا، فصلبونا مجرمين على أعواد النكران والنسيان!.

٣١١ لم نعش في أحضان الحدائق الغنّاء، لكن حب الله فجّر آلاف أزرار الفُلّ في صدورنا طهراً ونقاءاً وعبيراً ساحراً، وزرعت ركيعات السّحَر في نفوسنا نجوم الياسمين، فصفت نفوسنا صفاءاً عجيباً، وتألّقت أرواحنا في سماوات الله ملتهبة بنور الحب فيه، مشتاقة إلى لقاء الأحبّة، محمد وحزبه.

سبحان ربي.. كيف يتحدّث الساقطون عن الحب وما عرفوه، وكيف يكتب شعراء الجنس عن الحرية وما ذاقوها، وكيف يصفون للناس طريق الخلاص وهم أكثر الناس قيوداً وسلاسل.

٣١٢ في عام (١٩٨٠)...
بحثت عن الحق فوجدته في صفحات القرآن.
وبحثت عن الحقيقة فوجدتها في كتاب الكون.
وبحثت عن الصدق فرأيته في محاريب المساجد.
وبحثت عن الثبات فعلمت أنه وراء أزيز رصاص الثوّار.
وبحثت عن البطولة فرأيتها في حبال المشانق.
وبحثت عن السعادة فلم أجدها إلا في الجهاد في سبيل الله.
وفي عام (١٩٨٦)...
بحثت عن الحق فوجدته في صفحات القرآن.
وبحثت عن الحقيقة فوجدتها في كتاب الكون.
وبحثت عن الصدق فوجدته على ألسنة الغرباء بدينهم وأنفسهم وسلوكياتهم لا يضرُّهم مَن خذلهم قط، ولا يثنيهم الأذى عن المضي في الطريق.
وبحثت عن الثبات فوجدته في نفوس أولئك الصابرين على كلمة حق يرعونها حق رعايتها ولو

وقفت الدنيا، كل الدنيا، في وجوههم.

وبحثت عن البطولة.. فرأيتها في عزائم الذين يبدؤون من القواعد بصبر وتصميم، يغيّر الله بهم نفوس الناس حتى يغيّر ما نزل بهؤلاء الناس من بلاء.

وبحثت عن السعادة.. فلم أجدها في غير العمل في سبيل الله.. خالصاً صواباً.. بالغاً ما بلغ من الهوان في عيون الناس ما دام صاحبه يقف على ثغرة من ثغور الحق يحميها بنفسه وما ملك.

ولا أدري إن عدت للبحث عن هذه المعاني كيف أجدها في عام ١٩٩٢؟؟.

﴿٣١٣﴾ عجزت الحياة عن هدي الإنسان إلى طريق الحقيقة، وقاده إليها الموت وحده.

وعجز الكذب عن بناء الحياة، وأعطاها معناها الصدق وحده.

وعجزت النصائح عن رسم طريق الإنسان، ورسمته التجارب وحدها.

﴿٣١٤﴾ جربتُ أنواع البلاء، فما وجدت أعظم بلاءاً من الذنوب، وقاسيت ألوان المصائب فما وجدت أشد قسوة من ألسنة الناس ـ خاصة الحمقىٰ

منهم ـ ورأيت تنكُّر الناس لبعضهم فما وجدت مثل نكران المرء لفضل أخيه، مغيِّراً للقلوب يورثها الحسرة والندامة.. في الدارين.

﴿٣١٥﴾ لكي نحيا علينا أن نتعلّم كيف نجاهد، وليكن في حسابنا أن الولادة الحقيقية لا تكون دون مخاض عنيف وجمع من الآلام.

﴿٣١٦﴾ قتل العمل الإسلامي اثنان: حسود حاقد لا يتصوّر الصدور عن غير ذاته مع تقصيره وقلّة علمه، وجامد متجمّد يحجم العمل الإسلامي والدعوة إلى الله ويسلخه من روحه الحقيقية.

وأساء إلى العمل الإسلامي اثنان: مجتهد في تحصيل الكم وهو لا يحسب للكيف حساباً، ومتهوِّر مخلص لله في عمله، وعمله أبعد ما يكون عن الصواب.

وانحرف بالعمل الإسلامي اثنان: متكسب باسم الدعوة إلى الله يعيش عالة على المسلمين وهو في الحقيقة طالب منصب وجاه، ومضيِّع لنفسه وعياله يُلقي مسؤولية كسله على عاتق الدعوة إلى الله بحجة تفرُّغه للعمل في سبيله.

﴿٣١٧﴾ أعجب ما رأيت في العمل الإسلامي أن يجعل

البعض من المسؤولية مزايا يتزيَّوْن بها وأزياءً، وينسَوْن أنها محنة وأعباء يُسألون عنها يوم القيامة، وأعجب من ذلك أن تصبح الدعوة إلى الله إرثاً يورثه الأب لابنه، والزوج لزوجته، حتى لو لم يكن ذلك الابن وهذه الزوجة كفؤاً.. وحتى لو تعطَّل بسبب ذلك خير كثير يُرجىٰ من غيرهما!.

﴿٣١٨﴾ مرضان يفتكان بالعمل الإسلامي: الوهن.. يصيب المرء في نفسه وفكره وقدرته على العمل والعطاء. وخيبة الأمل تصيب المرء في إيجابيته وإرادته وتثنيه عن التقدُّم والعمل مع الجماعة.

فأما الوهن فأسبابه داخلية بحتة، وعلاجه في تقوية الإيمان وشدة الرياضة والإقبال على الله عزّ وجل.

وأما خيبة الأمل في العمل الإسلامي، فأسبابه خارجية تتعلّق بإخوان المرء الذين يغمطونه حقه، ورفاقه ممن يرتقون على حساب جهده وجهاده، والقائمين على العمل ممن يؤثرون أهل الولاء والثقة، على أهل الخبرة والعمل الصواب الخالص لوجه الله تعالى.

﴿٣١٩﴾ ما من وسيلة لقتل روح التوثب لدى المرء،

وزرع الوهن في نفسه، أجدى من تحجيمه، ومحاربة إخوانه له، وضيقهم من نشاطه ورغبته في المساهمة في تقدُّم مسيرة عمل يراها تراوح في مكانها، إن هذه المعاول التي تدكّ البنيان من الداخل، أشد فتكاً آلاف المرات من حرب يشنّها أعداء الإسلام على المسلمين لا تجدي فتيلاً إلا أن تشدّ عزمهم وتزيدهم تصميماً وثباتاً واتحاداً.

﴿٣٦٠﴾ أن تتناقش مع الناس لإبداء رأيك، فتغضب ويعلو صوتك، شيء، وأن تؤذي الناس إيذاءاً بالغاً في أنفسهم وتجرحهم جراحات عميقة، شيء آخر. وكثيراً ما يخلط الناس بين هذا وذاك، وأسلم الطرق أن يعتاد المرء أن يسيطر على أعصابه مهما كلفه ذلك من جهاد مرير.

﴿٣٦١﴾ لو اعتدل الناس في سلوكهم وعواطفهم لاستقامت حياتهم دون مشكلات، ولو اعتدل المبدعون وأصحاب المواهب في سلوكهم وعواطفهم، لما خرج إلى الدنيا أدب مرهف، ولا فن رفيع، ولا عرف العالم المصلحين والأئمة.

﴿٣٦٢﴾ استمع إلى النصيحة قبل أن تتجاوزها إلى التجربة،

فقد يأتي عليك اليوم الذي تبكي فيه ندماً لأنك لم تعمل بتلك النصيحة.

﴿٣٢٣﴾ الحب هو الأصل الذي ينشأ منه الأمل، والأمل هو الشجرة الباسقة التي يورق على أغصانها العمل.

﴿٣٢٤﴾ أكثر الناس تعاسة، كثير الآمال قليل الأفعال، عظيم الأماني حقير الأعمال، قوي التفكير ضعيف الإرادة.

﴿٣٢٥﴾ ليس في الجرأة أي عيب، لكن العيب كل العيب فيمن يفهمون الجرأة وقاحة.

﴿٣٢٦﴾ إذا كان أخوك أو تلميذك جريئاً واعتذر منك، فكن أنت شجاعاً كريماً واقبل عذره.

﴿٣٢٧﴾ التوجيه السليم، هو أن نتعلّم ثم نفهم ما تعلّمناه، ثم نعي ما فهمناه.. إنه نتاج علاقة بين إنسانين، أحدهما عالِم عطوف متفهِّم، والآخر متعلِّم يحترم أستاذه ويثق فيه.

التوجيه السليم يقتضي أن يتقبّل الطرفان النقد والنصيحة بقلب سليم كما يتبادلان الحب والإخلاص والتعاون على البرّ.

﴿٣٢٨﴾ لا تُخمد العواصف ببناء الجدران في وجهها، ولكنها تُهدّأ بغرس الأشجار في دروبها.

﴿٣٢٩﴾ لو خيّرتني بين الموت والذل، لاخترت الموت.
ولو خيّرتني بين القروش والكرامة، لاخترت الكرامة.
ولو خيّرتني بين مزيد من أرغفة الخبز، والكتاب، لاخترت أن أعيش كفافاً.

﴿٣٣٠﴾ لو فتح الناس عقولهم وأقبلوا على المطالعة، لاستحال على أي طاغوت في الأرض أن يستعبدهم.

﴿٣٣١﴾ إن الاستعمار أرحم من الاستعباد في كثير من الحالات، فالاستعمار يثير في النفوس الخانعة الحياة، والاستعباد يولّد فيها الموت واليأس والقنوط.

﴿٣٣٢﴾ الطاغية.. مخلوق مستعدٌ لتدمير العالم كله من أجل أن يبقى ملتصقاً بكرسيه!.

﴿٣٣٣﴾ حقيقة الحب أن يدعونا إلى تجاوز أخطاء الذين نحبهم بتسامح وسعة صدر، فيورثنا صفاءاً في القلب، ودرجات نسمو بها.

﴿٣٣٤﴾ أولئك الكبار من ذوي أرحامنا، الذين يحبوننا ويحترموننا ويجعلون من قلوبهم أرضاً طيبة تنمو كالسنابل الخضراء فيها، هم أجدر الناس بحبنا ومساعدتنا وعطفنا، وصلتنا لهم في الله، لنزهر في خريف أعمارهم آمالاً تعطيهم نوراً جديداً، وتعمر قلوبهم بالرضى في وقت هم أحوج ما يكونون فيه إلى الآمال والعطف والحب الصادق الأمين.

﴿٣٣٥﴾ ليس الحُر ذلك الذي يصفِّق للطغاة، ولا ذلك الذي يتشدّق أوان المحنة مناقشاً فرضية الجهاد، ولا هذا الذي يقول عن المجاهدين إنهم مجانين وحمقى، ولا ذلك الذي يبدأ بتفنيد أسباب الهزيمة ويُلقي باللائمة على من ثاروا في وجه الطغيان إبان الهزيمة شامتاً أو مشهِّراً، إنه ذلك الذي يتعلّم من كل محنة ونكسة على الطريق، أن يثابر في طلب العمل الصواب الخالص، فيعذر الذين اجتهدوا فأخطؤوا، ويرجو لهم أن يقفوا على أقدامهم من جديد.. إنه ذلك الذي يعمل بصبر وثبات، لا يهمُّه أن يهزمه الطغاة وأعوانهم، ولا أن يخذله إخوانه من المنتسبين إلى الإسلام المدّعين الجهاد في سبيل الله، بقدر ما يهمّه أن

يتميّز بخلق الإسلام، وينخلع من كل العوائق والعلائق التي تقف عثرة حقيقية في وجه تقدم المسيرة.

٣٣ قال لي جدي ـ وهو العالم العامل كما عهدته حتى فارقته ـ: لا تثيروا الزنابير فتلدغكم!.

فاستمعت إليه بأُذُن الثورة، وعنفوان إرادة الشهادة في سبيل الله، ولم أفكر في تلك المعاني العميقة التي تضمنتها نصيحته لي.

لكنني فهمت بعد حين مغزىٰ قوله وأنا أقرأ قول ابن المثنى: هلك قوم جعلوا الشهادة غايتهم وحسب[1].

فلا بد من الإعداد والاستعداد، وإلا أثرنا زنابير ليست لنا القدرة على ردّ لدغاتها.

الذين استشهدوا منا ربما فازوا وربح البيع.. واستطاعوا اجتياز العقبة، وعلى كواهل الذين حُبسوا في الأرض يقع عبء التصحيح والتصويب والمثابرة والمكابدة والجهاد الذي يفوق كل أنواع الجهاد وعورة ومعاناة وضراوة.

---

(١) إثر هزيمة المسلمين في معركة الجسر مع الفرس، بسبب تهوّرهم واقتحامهم الجسر على عدوهم مع جهلهم بما وراء الجسر من أرض وجند وعتاد.

﴿٣٣٧﴾ ما أظن معاناةً في هذه الأرض تعدل معاناة الذي بات ليالي طويلة يطلب الشهادة في سبيل الله، ويعدّ العدة للقاء ربه.. ثم يحبس في الأرض لأمر أراده الله يخالف هواه ومطلبه. ويبقى الامتحان هو الامتحان، ورضى الله هو الغاية.

﴿٣٣٨﴾ كل الرماح تجرح، وجرحك يا أخي في الله قاتل.

وكل القلوب تحسد، ولكن قلبك يا أخي في الله إذا عرف الحسد فتلك بداية النهاية.

وكل الأعداء يعرفون الحقد، أما إذا نبت الحقد بين قلبي أخوين، فكيف يزهر ربيع الحياة بعد ذلك؟.

﴿٣٣٩﴾ الأخ في الله نور يضيء، فإذا ما نسي أساس صلته بأخيه، صار جمرة تحرق.

﴿٣٤٠﴾ الحب في الله يطهر القلوب، والثقة تزرع الاحترام وتنمّي الشعور بالمسؤولية، والفهم العميق للنفس الإنسانية يجعلنا ندرك أن الأرض لا يسكنها ملائكة ولا شياطين، إنما أناس يخطئون ويصيبون.

﴿٣٤١﴾ بعد خمسة عشر عاماً في العمل الإسلامي، عرفت

أن الأُخوّة في الله، لا تعني أن أجرح كرامتي، وأصبر على أولئك الذين يتمادَوْن في إساءة الأدب مع الذين يعاملونهم على أنهم إخوة في الله.

﴿٣٤٢﴾ كم وكم من الناس تحسن إليه فيبالغ في الإساءة إليك باسم الأخوّة في الله، وكم من هؤلاء يهينك ويجرح كرامتك باسم الأخوّة في الله، وكم منهم من يتطاول عليك ويغمطك حقك، ويوسعك في ظهر الغيب شتيمة، ويشهر بك.. باسم الأخوّة في الله، أو باسم مصلحة العمل الإسلامي!.

﴿٣٤٣﴾ ما رأيت داعية إلى الله يسيء إلى نفسه وإلى من حوله خاصة من الذين سلّموه قياد أمرهم وتوجيههم، وإلى العمل الإسلامي.. مثل ذلك الذي يستمع إلى أقوال بعض أصحابه في بعضهم الآخر ـ سواء صحّ الكلام أم لم يصح ـ ثم لا يعمد إلى جمع الطرفين، والتحقق مما كان قد قيل له، والعمل على إصلاح ذات البين.

﴿٣٤٤﴾ بعض الدعاة إلى الله يقيمون بنيان حركتهم ودعوتهم على مجموعة من الطلاب والمريدين، يقرّبونهم منهم، ويجعلونهم عيوناً لهم على إخوانهم، ينقلون لهم كل حركة يتحركونها، وكل

كلمة يقولونها، ويزداد المريد من هؤلاء تقرُّباً من شيخه أو مسؤوله كلما تمادى في نقل عثرات إخوانه، وكلما بالغ في التشهير بهم، وكلما تتبّع عوراتهم وسقطات ألسنتهم. وفي هذا إساءة ما بعدها إساءة، وتخوين للمسلمين من حوله الذين يرَوْن فيه قائداً وإماماً، وزرع للبغضاء والفحشاء، وشروخ عميقة في الصف لا تلتئم مهما امتدَّت الأيام، ومهما حاول الطرفان الإصلاح لأنها تتصل بفساد دائم واختلاف في القلوب!.

صلّى الله على سيدنا محمد سيد الدعاة في كل زمان ومكان، لقد قال: **«لا يبلّغني أحد من أصحابي عن أحد شيئاً فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر»**[1].

٢٤٥ الحمق هو سوء التصرف، وقلة العقل، ولا ينشأ الأول إلا عن الثاني.

وأعظم المسلمين حمقاً وجرماً عند الله، مسلم يطلب عورة أخيه ليتقرّب منها من مسؤول في حركة إسلامية، أو موجّه في جماعة، يرجو بها جاهاً عنده، لا يأبه بما دمّر من علاقات، ولا بما

---

(١) رواه أبو داود والترمذي.

أفسد من قلوب، ولا بما عرض به من اتهامات، ولا بما اتهم من أعراض.. وهو يظن أن ذلك لمصلحة الدعوة، أو لتعريف المسؤول بما يجري.. وهؤلاء من الذين يظنون أنهم يحسنون صنعاً.. وهم في الآخرة كما ذكر ربنا.

﴿٢٤٦﴾ إنه ليس من الإسلام في شيء أن يتهمك البعض في دينك، ويرموك بكل قبيح من الصفات، حتى يسلخوك بألسنةٍ حداد من إسلامك وعلمك وجهادك.. لا لشيء جنته يداك، إلا الخوف على مناصبهم الاجتماعية، ومراكزهم الإسلامية التي وضعهم الله فيها، فخانوا الأمانة أبشع خيانة، وظلموا أنفسهم أفدح ظلم، وعملوا ما بوسعهم للحفاظ على هذه المراكز بكل وسيلة، حتى وصلوا إلى اتهام إخوانهم في دينهم.

﴿٢٤٧﴾ أن تتحدث عن انتماء شخص يريد التعاون معك في عمل إسلامي لتنبيه إخوانك إلى محاذير في العمل عليهم اجتنابها، شيء، وأن تتحدّث عن صفات امرىء يريد العمل لوجه الله، فتتهمه في صفاته النفسية وقدراته العقلية، شيء آخر.

إن بين الأمرين ما بين الحق الذي يجب تبيينه،

والبهتان الذي يجب على المسلم التوبة منه.

﴿٣٤٨﴾ إن تواضعنا لإخواننا في الله لا ينبغي أن ينقلب ذلاً لأنفسنا.

وإن الحب في الله، والعمل في سبيله، لا يعني أبداً أن يضيِّع المرء حياته ووقته، ويبني الأوهام على حساب نفسه وأهله ومستقبله، فلكل شيء حدود يقف عندها ثم ينقلب إلى ضده.

﴿٣٤٩﴾ إياك أن تستمع إلى مشكلة بين اثنين من أحد الطرفين، فكلٌ يلحن بحجته حتى تظن أن الحق معه.

﴿٣٥٠﴾ في الحياة شيء اسمه الظن، فلا تحسن الظن في الناس إلا بحدود، فلقد اعتاد الكثيرون الكذب والظهور بأشكال الظباء، وهم يحملون قلوب بنات آوى.

ولا تسيء الظن في الناس إلا بحدود، فلا تخلو الحياة من أولئك الأصفياء الذين تتطابق سرائرهم مع علانياتهم.

﴿٣٥١﴾ بعض الناس يديمون صلتك ما دمت تحتمل أذاهم وأنت صامت، وبعض هذا الأذى في كرامتك،

وفي إحساسك، وفي صحتك وأعصابك.

فإذا ما رددتَ على أحدهم أو أوقفتَه عند حدّه مرة واحدة.. أخرجك من قلبه البتة.

يا صديقي لا تحزن على فوات فرصتك عند هؤلاء، إنك أصلاً لم تدخل قلبه قط.. إنه واحد من عبيد الذات.

٢٥٢ الأرواح جنود مجنَّدة فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف.

صلى الله على الذي لا ينطق عن الهوى.. حقاً إذا كرهك امرؤ لما استطعت أن تكسب ودّه ولو فرشت له الأرض أزاهير وعنبراً، ولو تنازلت عن كل حقوقك الاجتماعية، واحتملت أذاه، وحاولت تأليف قلبه.

وإذا أحبك أخٌ، حالت كل قواك على إغضابه وإزعاجه وأحياناً إيذائه، دون خروجك من قلبه. ذلك عدو لدود.. وهذا أخ في الله يسأل الله ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

٢٥٣ يا منشد المحنة...

يا أخي في الله.. أيها الثابت على موقع من مواقع الجهاد في بلدي الممتحن.

أنت مسلم.. هذا طموحك، وأنت مجاهد وهذا قدرك الذي رضيته، وأنت مؤمن لا يهوى قلبك في الكائنات سوى الإله...

هذا هو لسان حالك الذي سمعناه نشيداً عذباً أليماً يحمل إلى الدنيا صوت كل مسلم ممتحن في بلدك، يا أخي في الله.. إن كنت ما زلت حيّاً، فمزيداً من الصبر، ومزيداً من الثبات والعطاء، فلقد كانت كلماتك وألحانك بلسماً لجراحنا النازفات، ومزيداً من المضاء لعزائمنا، ونوراً في حلك الليل، وروحاً تجمع في ظلال الإيمان أرواحنا أهل المحنة.

وإن كنت قد قضيت، فلقد قدّمت بدمائك البرهان الساطع على صدق إيمانك، وصدق جهادك في سبيل الله، ولطالما كان صوتك الندي يجيش مشاعرنا فنبكي شوقاً إلى لقاء الله، طامعين في الشهادة في سبيله.

ولقد أبعدتنا المحن عن بلادنا وبقي أنينك يحملنا إلى النواعير.. والأشجار.. والنسائم.. والمآذن.. ويجدّد فينا ذكرى الجراح.. تلك الجراح الزكية ريحها ريح مسك، كلما ضعنا في آلام جراح جديدة عفنة بعدما حُبسنا في هذه الحياة واستبدلنا صحبة عشاقها ـ ولو ادّعوا غير

ذلك ـ بصحبة عشاق لقاء الأحبّة محمد وصحبه.

﴿٢٥٤﴾ كنت أتمنى أن أكون من الذين يطول صمتهم، ويستطيعون السيطرة على ألسنتهم، وأرى في أصحاب الألسنة المحبوسة أبطالاً جبابرة، حتى قيَّض الله لي قوماً، يطيلون الصمت ويظهرون لك الابتسام، فإذا ما انقلبوا عنك سلقوك بألسنتهم، وقطعوك بانتقادهم، وأكلوا لحمك.. فإذا عادوا إليك ونطقوا بالقليل من الكلام كان سمّاً زعافاً مضافاً إليه بغض حارق، مغلَّفاً بحمق المنتمين إلى العلم كذباً، ودناءة المنتمين إلى الثقافة زوراً.

فسبحان مغيِّر الأحوال.. لقد أصبحت وما من شيء عندي أبغض من الصامتين!!.

﴿٢٥٥﴾ رحم الله امرءاً كثير الكلام، منكسراً بباب الله، يسأله أن يكفَّ لسانه، إذا تحدّث صدق، وإذا سئل أفاض في الشروح، وإذا أتاه زائر، ما شعر في بيته أنه قطعة ثقيلة ينتظر صاحب البيت خروجها من بيته، لحفاوته بضيفه، ومجاذبته له أطراف الحديث.

وقبّح الله امرءاً صامتاً، لم يصمت إلا ليخفي الأوحال التي اشتمل عليها عقله، وليستطيع رصد

أخطاء الآخرين، إذا سئل صمت وكأنه أرفع من أن يجيب، وإذا تحدّث كان كصاحب الشافعي، وإذا دخلت بيته قتلك صمته، وذبحك كلامه.. فما عليك إلا بالهرب.

٢٥٦ إذا نزل بنا قدر الله بالمحنة، فعلينا أن ندفعه بقدر الله بالالتجاء إليه والعمل في سبيله، والصبر على البلاء حتى نلقاه.

٢٥٧ اللهم لك الحمد ولك الشكر على الرضى.
ولك الحمد ولك الشكر على الصبر والثبات.
ولك الحمد ولك الشكر على العزيمة الماضية.
ولك الحمد ولك الشكر على أن زرعت أملاً بك في هذه النفس يدافع قدرة المرض على القعود بالجسم عن العمل.. حتى ترى الأصحّاء القاعدين مرضى.
اللهم لك الحمد والشكر حتى ترضى.. فادفع بقضائك فينا ذنوبنا واغفر لنا ما جنت أيدينا، وارحمنا من أنفسنا فإنك بها أرحم.

٢٥٨ لئن منعك المرض من التحرُّك في مجال، فلقد أعطاك الله آلاف المجالات الأخرى التي يمكنك أن تكون فيها رائداً في العطاء والتفاني في

العمل.. اخلع من نفسك نير اليأس، والخلود إلى الآلام.. فما من ألم في الدنيا يساوي آلام لسع الذنوب في نور الروح حتى يطفئه.. أو تلتهب بنور جديد.

٣٥٩ اللهم إني أعوذ بك أن أفهم من كتابك ما لا تريده، وما لا ترضاه، وما ليس في كتابك من أجل هوى في نفسي.

اللهم إني أعوذ بك من نفسي أن تغوى وتضل وتتبع هواها، وتخالف دينك باسم دينك لتثبت للآخرين أنها على حق رغم ما هي عليه من باطل.

اللهم إني أعوذ بك وأسألك بأنك أنت الله، أن لا تحبط عملي.. فأدعو إلى نفسي وأنا أظن إنما أدعو إليك، وأتجمّل بالدعوة إلى الله وما ذلك إلا دعوة حب للأنا وهذا هو الهلاك.. وأي هلاك.

٣٦٠ عمدت مجلة إسلامية شعبية لإجراء استفتاء بين قرائها.. فكان من نتيجة الاستفتاء أن الذين يُقبلون على قراءة هذه المجلة دون مستوى الشهادة الابتدائية ٤٪ فقط من مجموع القراء.

إن نتيجة كهذه أرعبتني وأفزعتني، وحق لها أن

ترعب وتفزع كل عامل في ميدان الإعلام الإسلامي.. فالإعلام الإسلامي في الأصل ينبغي أن يصل إلى جمهور المسلمين وعامتهم، إلى رجل الشارع، والمرأة في بيتها، والشباب في مجالات حياتهم.

فإذا بلغت نسبة المقبلين من هؤلاء على الإعلام الإسلامي ٤٪ من مجموع المسلمين.. فهذا يعني أن هذا الإعلام ما زال قاصراً تماماً عن تقديم أي شيء للمسلمين ما دام لا يستطيع الإقبال عليه إلا حملة الكفاءات العلمية النادرة، والانتماءات الحركية المعروفة، مهما بلغت شهرة هذا الإعلام، ومهما بلغت درجة القائمين عليه من الإخلاص والتفاني.

٣٦١ لماذا نلوم الجماهير المسلمة وهي تلهث وراء إعلام هابط، ومجلات خليعة، وفن رخيص.. ما دمنا عاجزين نحن الإسلاميين عن ملء هذه المجالات بما يجذب الناس ويسمو بعقولهم، ويملأ قلوبهم، ويروي ظمأ أرواحهم، ويدغدغ عواطفهم، ويتحدّث عن همومهم وآمالهم وآلامهم؟!.

﴿٣٦٢﴾ كثيرون من الإسلاميين العاملين في مجال الإعلام يفتقدون الاختصاص والخبرة.. وربما الموهبة، وعلى الرغم من ذلك تجدهم يقفون عثرة حقيقية في وجه التقدم بالإعلام الإسلامي الذي يقومون عليه نحو الطرق السليمة التي تصل به إلى عقول وقلوب الناس.. كل الناس.. والخروج به من قوقعة الأطر الفكرية الجامدة الجافة، إلى رحاب الجماهير الواسعة بكل ما تتطلبه هذه الخطوة من جدية وجرأة، وثورة حقيقية تقدم للجماهير المسلمة ما تفتقده في الإعلام الإسلامي اليوم.

﴿٣٦٣﴾ ما تكاد تسأل شاباً ولا شابةً في الحركات الإسلامية عن الفرع الذي ينوي إتمام دراسته فيه، إلا وتجده يريد أن يكون طبيباً، فإن لم يساعد نفسه في تحصيل مجموع علامات الطب، دخل الكلية التي تليه في مجموع العلامات المطلوبة، فإن لم يستطع انتسب إلى أي فرع يمكّنه من تأمين دخل مستقر، واحترام لا بأس به بين الناس.

متى تستطيع الحركات الإسلامية أن توجِّه أبناءها إلى اختيار الفروع والدراسات التي تتوافق مع قدرات كل منهم ومواهبه أولاً، ومع حاجات

الإسلام والمسلمين في هذا العصر ثانياً؟.

٣٦٤ العالِم المتحضّر، يحترم مهنة الكتابة والصحافة والتحقيق الإعلامي إلى درجة يجعلها أخطر المهن على الإطلاق.. ونحن ما زلنا على الرغم من تخلفنا المهين في هذه المجالات نستحيي أن يتجه أولادنا إلى دراسة هذه الاختصاصات أو الالتحاق بالكليات التي تحضُّ الموهوبين في هذه المجالات على الإبداع في مواهبهم، وذلك على الرغم من أننا نعاني نقصاً مخيفاً في مجال الإعلام والدراسات الإنسانية.

٣٦٥ بعض الإعلاميين الإسلاميين، لا يحترمون أنفسهم، ولا المهنة التي إليها ينتسبون، ولا يحترمون جماهير المسلمين من حولهم الذين ينصتون إليهم، ويقبلون عليهم، بل لا يحترمون إسلامهم، وهم يدأبون على تصيُّد الأخبار الكاذبة، وتعويم المقولات المثيرة للمشكلات، والمبالغة في نقل حوادث لم يستطع أحد التحقق منها.. والتشهير بشخصيات معروفة.. إن هؤلاء مسؤولون أمام الله عزّ وجل عن هذه الأقلام التي حمّلهم إياها، وهذه الأموال التي يعبثون بها..

وهم إنما يعبثون بضمائر الشعب، وعواطف المسلمين.

٣٦٦ طريقنا هذه.. طريق لا يمكن للسالكين أن يسلكوها إلا على وجل يحدوه أمل وثبات، هما رصيد الشباب المسلم في بداية خطوه نحو النور.

أما الثبات فهو ميزة أساسية، علينا أن نلتزمها كلما اِدْلَهَمّ الخطب، حتى لو كان ثباتنا على آية واحدة أو فكرة واحدة، فحسبنا منها أنها أمدَّتنا بمعانٍ جعلتنا جنداً لله، مهما كانت درجة جنديتنا تلك. وأما الأمل فهو المشعل الإلهي الذي تُوقِدُه رحمة الله بنا، نوراً يضيء في أرواحنا برداً، وفي قلوبنا سلاماً، وحبّاً لله لا تخبو جذوته حتى يتحقق عباد الرحمٰن بإحدى الحسنيين.

٣٦٧ لم أعد أحبُّ أولئك الذين يحقرون أنفسهم تواضعاً، لأن ذلك ذلة وانسحاباً من حمل المسؤولية في زمن المحنة، وهي تكاليف وأعباء جسام خطيرة.

يكفينا شرفاً أن الله اختارنا لنكون جنداً له بما آتانا من قوة صغيرة أو كبيرة.. فإن الله لا يكلِّف نفساً إلا وسعها.

ولا يعني ذلك أن لا نتّهم أنفسنا في كل حين لِنُصفِّيها من الشوائب، ولا يعني أن لا نبذل الجهد وأقصاه، للتقدم والارتقاء بأنفسنا إلى درجة الذين عفا الله عنهم ورضي، ورضوا عنه.

٣٦٨ كلما هدأت عواصف المحن السياسية، رأى أولو البصيرة من وراء حجب الجراح، أمراضاً خطيرة جاثمة على القلوب والعقول والأرواح جميعاً، ووجدوا انتكاسات لا يستهان بها في مسيرة الأفراد وهم يبحثون عن ذواتهم، وفي مسيرة الشعوب وهي تسعى من أجل الخلاص، وفي مسيرة الحركات الإسلامية وهي ما تزال في كبوتها تكرّس الأخطاء جيلاً إثر جيل، وتكره النقد كرهاً شديداً، كان السبب الرئيسي في الإخفاق الشامل الذي مُنيت به هذه الحركات خلال هذا القرن في الساحة الاجتماعية والسياسية، إذ عجزت وعلى الرغم من نجاحها في تحصيل الكم، عن إعداد النوعيات اللازم إعدادها لانتشال الأمة مما هي فيه اليوم.

ويندر أن نرى بين من يتخرّجون في صفوف الحركات الإسلامية، نوعيات لها القدرة على التغيير الحقيقي، التغيير الفاعل المؤثر العميق في

مسيرة شعوبها وأوطانها، بل في مسيرة الحركة ذاتها والتي تنتمي إليها هذه العناصر.

﴿٣٦٩﴾ إن المحنة الحقيقية التي تعيشها بلادنا اليوم، أكبر من محنة سياسية تتعرّض إليها فئة من الناس في هذا القطر أو ذاك، إنها محنة عقول لا بد من إعادة تشكيلها، ومحنة قلوب تحتاج إلى مجاهدات عنيفة لتستعيد سلامتها وإخلاصها، ومحنة أرواح انغمست زمناً طويلاً في معارك مضنية لتحصيل لقمةٍ، وجاهٍ، ومتعةٍ، ومكانٍ لها في هذا المجتمع المتخبّط في أوحاله.

إن محنتنا في أنفسنا هي محنتنا الحقيقية التي يجب أن نتحدّث عنها، ونبحث عن الوسائل الناجعة لاجتيازها والتغلُّب عليها، بعد أن نضع أيدينا على مواضع جراحنا الحقيقية كلها دون أن نهمل واحدة منها، ودون أن نخشى في التدليل عليها لومة لائم من أخ صديق، أو رفيق صادق، أو عدو لدود، أو حاسد حاقد.

﴿٣٧٠﴾ أعمار الطغاة لا تمهلهم لذبح شعب واحد مرتين، ولا للعيش طغاة مرتين، إنهم اختاروا أن يكونوا

طغاة في الدنيا، وستكون سرابيلهم من قطران في جهنم الآخرة.

٣٧١ إن في قلوب بعض الخاطئين الذين يرتكسون في حمأة الذنب، ويتخبّطون في دروب الحياة، قوة هائلة تدفعهم إلى التوبة والإصلاح لو أن أحداً تطوّع بأخذ يدهم لينقذهم من الغرق.

٣٧٢ يا الله..

كن معي عندما يدلهمّ الخطب.

كن معي في ساعة العسر.

كن معي في الضراء.

كن معي عندما أفقد مبرِّر وجودي في الجماعة.

كن معي عندما أخطىء الحكم، وعندما أرى الحق مقلوباً ويلتبس أمام عيني الطريق.

كن معي اللهم.. لأستغفر وأتوب.

وأصبر، وأصابر.. وأرابط.

وأكافح وأجاهد.. وأكابد الحياة.

اللهم كن معي لأستمر في طلب الشهادة في سبيلك ثم لا أبالي.

٣٧٣ لا بد من بلاء في هذه الدنيا، فهي دار البلاء الذي لا يدوم. إلا أن الفرق أن ابتلاء المؤمن

محنة له في الحياة، ومنحة بعد الموت، وأما الآخرون فبلاء دائم لا يزول ما داموا لا يؤمنون بالله ولا يسلمون له الوجوه.

٣٧٤ ما فائدة القلم إذا لم يفتح فكراً، أو يضمّد جرحاً، أو يرقأ دمعة، أو يطهّر قلباً، أو يكشف زيفاً، أو يبني صرحاً يسعد الإنسان في ظلاله.

٣٧٥ «أهل الموت. . وأهل الحياة».

نحن قوم نبني للحياة صروح الحضارة الإنسانية، كما نُقبل على الموت في سبيل الله بيقين الواثق بجنته الخالدة.

أهل الموت في سبيل الله أولئك الذين رووا نبتة الإسلام بدمائهم لرفع رايته، ورعوها بآهاتهم وهم ساجدون في الأسحار، وحرسوها بأسِنّة رماحهم فوهبوا الحياة لأمتهم من خلال موتهم في سبيل الله.

وأما أهل الحياة في سبيل الله فهم الذين يرسّخون دعائم البناء، بالجهاد والصبر والعمل الدؤوب في الدعوة إلى الله بكل وسيلة يستطيعونها.

إن الحياة بحاجة إلى ماء نُغيّبه في باطن الأرض لكي تحيا به شجرة الحرية، كما أنها بحاجة إلى

زهرة نزرعها على سطح الأرض، تنشر عبيرها في الحياة.

حياة المسلم بناء، كما هي تضحية، والمؤمن الحقيقي مستعدّ للحياة في سبيل الله، كما هو مستعد للموت في سبيل الله.

﴿٢٧٦﴾ كل الزهور جميلة، إلا أن الوردة الحمراء أكثرها تأثيراً في النفس الإنسانية لأنها تذكّرنا بدماء الشهداء التي روت شجرة الحرية لكي ينعم الناس بظلالها الوارفة.

﴿٢٧٧﴾ العبادة خير عادة يقهر بها المرء نفسه التي تهوى ما يلزمها بالراحة والمتعة، المؤدِّيتين إلى الكسل والعجز اللذين يوردان المسلم الهلاك.

﴿٢٧٨﴾ الحياة حركة وجهاد، والكسل شوك ينغرس في القلوب يؤدي بالإنسان إلى الفشل.

﴿٢٧٩﴾ علينا أن نجاهد لتحرير أنفسنا من أنفسنا بكل وسيلة ممكنة، لا أن نترك النفس الأمّارة بالسوء تهوي بنا إلى قيعان سحيقة من الهمّ والغمّ والحزن.

﴿٢٨٠﴾ إن الحياة تستدعي الإقدام، وبناء صروح الأمل دون اِلتفاتة إلى الوراء إلا للعبرة.

٢٨١ أنا لا أعتبر قلبي مريضاً، ولو شهدت تقارير الأطباء بإصابة صمام.. ثم صمام آخر فيه.

ولكنني أنتحب حزناً عليه إذا ما أصابه مرض الحقد والحسد، وانقلبت موازين الحق فيه إلى موازين غير عادلة.. إنه إذ ذاك قلب مريض متعفِّن نتن.. ولو قالوا عنه إنه سليم.

٢٨٢ ماذا يساوي الإنسان، دون عقل يبني، وقلب يحبُّ، وروح تسمو، وجسد يثور ويعمل ويكدح؟.

ماذا يساوي الإنسان دون إنسانية إلا وحشاً مفترساً في غابة مليئة بالوحوش المفترسة؟!.

٢٨٣ رحم الله ابن حزم، وابن الجوزي، ومصطفى السباعي، كانوا رادة في أدب الخاطرة الإسلامية باللغة العربية، سجَّلوا لنا تاريخ الأيام التي عاشوها، من خلال كلماتهم المنيرة النابضة بصدق الإيمان وعمق اليقين، وغزارة العلم، وصحبونا ساعات من أعمارنا، فكانت صحبتهم خير صحبة، بلسماً للجراح في لحظات الألم، ونبراساً للنور في حلك المحن، وعزماً ودفعاً للأمام في ومضات التصميم على العمل.

لقد قدَّموا عصارة فكرهم، وسِيَرهم الذاتية، فكانت أحسن رفقة لنا في مثل هذا الزمن الذي نعيش، فهل نستطيع الإفادة مما تعلَّموه في الواقع العملي، بعد أن قدَّموا لنا الكثير في ساحة النفس البشرية المتعطشة اليوم إلى صحبة فكرية رفيعة، وفن أدبي إنساني سامٍ؟.

﴿٢٨٤﴾ رحم الله الذي قال: إن النصيحة الوحيدة التي يستمع إليها الإنسان في حقيقة الأمر هي التجربة(١).

﴿٢٨٥﴾ «عقود زواج»:

تزوج العدل من حكومة فأنجبا الطمأنينة.

وتزوجت ذاكرة قوية من تعس فأنجبا مصيبة.

وتزوج الإهمال من الذكاء فأنجبا الفشل.

وتزوجت المعرفة من مؤمن فأنجبا عملاً صواباً خالصاً.

وتزوجت الأخلاق من إنسان فأنجبا الحضارة.

وتزوجت المهانة من مواطن فأنجبا الذل.

وتزوجت السياط من مسلم فأنجبا التحدي.

---

(١) محمد مصطفى العقاد في كتابه أنا.

وتزوج الظلم من أمة أبية واعية فأنجبا الثورة.
وتزوج الإخلاص من مجاهد فأنجبا الشهادة في سبيل الله.

﴿٤٨٦﴾ لا ينبت من البغضاء إلا الشحناء.
ولا ينبت من الرياء إلا الحقد.
ولا ينبت من الغيرة سوى الحسد.
ولا ينبت من الكذب إلا تدمير كل شيء.

﴿٤٨٧﴾ إن النصر لا يرتهن بقيام دولة، ولكن بحياة فكرة، وأفكارنا لا تحيا في العقول وفي السطور، ولكن عندما يقتدي أصحابها بإمام الأولين والآخرين الذي كان قرآناً يمشي على الأرض، فحوّل الله به النفوس، فتحوّلت بتلك النفوس مسيرة البشرية.

﴿٤٨٨﴾ لا تقل إن إساءتي إليك ومعصية وقعتُ فيها، هزّتا ثقتك بالمسلمين، فإن في هذه المقولة مغالطة عظيمة لنفسك.
فالمسلم بشر يخطىء ويصيب، والحمد لله أن هدانا للتوبة، وكان عليك أن تتوقع ذلك مني منذ صحبتني، وأما المعادلات التي تقول إنها انقلبت في ذهنك، والرجفات التي حدثت في نفسك، فأنت

المسؤول عنها، وليسَ أنا، أنت المسؤول عن توازن المحاكمة في دماغك، وعن استقرار الاستنتاجات لديك، وليس من المعقول أن نحكم على المبادىء من خلال زلّات الأفراد، ومن المستحيل أن أقدّم أنا لك الدليل على حبي لك في الله، فهذا الدليل يجب أن يكون بين جنبيك أنت.

﴿٢٨٩﴾ رحم الله الزمن الذي كان فيه اليهود والنصارى لا يرقبون في مؤمن إلاً ولا ذمة.

فلقد أصبحنا في زمن لا يرقب فيه المسلمون في بعضهم بعضاً لا إلاً، ولا ذمة، ولا أخوّة في الله، ولا حتى يرقبون في بعضهم بعضاً مصلحة الإسلام، ولا إيمان أخ يدفعونه رغم أنفه إلى ترك العمل الإسلامي جملة وتفصيلاً.. لأمراض نفسية وعقلية عميقة الجذور في أنفسهم وأهواء شاذة في قلوبهم.

﴿٢٩٠﴾ أوّاه أيتها الأخوّة في الله، كم شاهدت تحت قدميك من صرعى، ما قتلتهم إلا أهواؤهم.

وكم رأيت في معبدك من متبتّلين، ما دعاهم إلى بنائه إلا النفاق.

وكم سمعت في موكب تمجيدك من هاتفين ما

ساروا مع الناس إلا لأنهم وجدوا أنفسهم منساقين مع الركب.

آه أيتها الأخوّة في الله، كم أساء البعض فهمك، وكم أساء آخرون استعمالك، وكم أساء مدَّعوك إلى أصحابك الحقيقيِّين.

﴿٢٩١﴾ كم من هؤلاء الذين يدَّعون العمل الإسلامي، ينقُضون البناء بحمقهم، ويغيظون المسلمين من حولهم بجهلهم؟ كم من هؤلاء يرفض تعاونك معه خوف أن لا يذكر اسمه وحده؟.

وكم من هؤلاء يعميه بغضه لك عن رؤية ما تصنعه، حتى لو كان ما تصنعه صواباً خالصاً لوجه الله؟.

وكم من هؤلاء دَمَّرَ جهدك وجهادك، وتاجر بأعصابك وصحتك وسمعتك، لا لشيء، إلا خوف أن يذكرك الناس بخير من دونه؟.

﴿٢٩٢﴾ الوقوف في نفس المكان، أفضل من هبوط سلم يؤدي بالمرء إلى الحضيض، كما أن التقدم نحو الأفضل أحسن من الوقوف ثم الموت.

﴿٢٩٣﴾ من العجائب التي رأيتها ـ وهي كثيرة في أيامنا هذه وفي بلاد الغربة خاصة ـ أن الناس لا

يسمعون حديثك، ولا آراءك وأقوالك بآذانهم، ولا يرون فعالك بعيونهم، وإنما يسمعونك ويرَوْنك بنيّاتهم، وفي هذا بلاء.. وأي بلاء!.

٤٩٤ في الوطن يمكنك أن تجمع حولك الأحباب بالنفاق، وفي الغربة يحبك الناس لو تنازلت عن مبادئك، ولكن كن على يقين أن المنافق يحبه المنافقون أمثاله، وأن الصادق لا يلتفُّ حوله إلا الإخوة الصادقون، والأصدقاء المخلصون. وإن عانيتَ بعض الوقت من الوحدة والآلام، فلا تحزن، لأن الصدق ليس كالنفاق، كثير التبسم، سهل العناق.

٤٩٥ كيف يمكن أن تستمرا معاً، روح ألفت الكذب والتمثيل والنفاق، وروح عانقت نسائم السحر، وقرآن الفجر.

قلب امتلأ بحب الدنيا، لا يقيس الناس إلا بأشكالهم وأطوالهم، ولا يخضعه إلا تفوُّق المادة، ولا يضحكه إلا فن رخيص، أو تحقير الناس، وتعييرهم بما خلقهم الله عليه، وقلب عرف الله يقيس الناس بما حباهم به الله من إيمان وعمل، لا يهمُّه مال ولا أشكال، ولا يعرف

السرور وأمته غارقة في الجراح، باع نفسه لله، ومضى يطلب الثمن.
كيف يمكن أن تستمرا معاً.. وأن تأتلفا؟.

﴿٢٩٦﴾ اللهم أعنّي على المضيّ في هذه الدرب بخصال ثمانية:

- أن لا أذم داعياً إلى الله إلا لتصويب عمله.
- وأن لا أغتاب أخاً في الله.
- وأن لا أصاحب من لا يرتاح إليهم عقلي ولا قلبي.
- وأن لا تدعوني الإساءة إلى الإساءة.
- وأن لا أقارب التعصب أبداً.
- وأن لا أتساهل في حق قط.
- وأن لا أخفض جناحي ابتغاء شيء من عرض الدنيا.
- وأن لا أنافق ما حييت.

﴿٢٩٧﴾ بالأمس.. واليوم.. وغداً، وحتى آخر يوم في حياتي على هذه الأرض، لن يغريني شيء قط من زينات هذه الحياة، ولن يصل أي بيت أو قصر فيها أن ينال من نفسي ما ناله قبرٌ في «سريحين»(١) حفره

(١) مقبرة الشهداء في مدينة مجاهدة.

شباب مجاهدون في سبيل الله، ليكون مثوى لهم بجوار قبور الشهداء.

رحم الله هؤلاء الشباب.. لقد كانوا كالملائكة يمشون على الأرض، اجتهدوا فأخطؤوا، فمضوا إلى الله، واقتحموا العقبة.. وما زلنا ننتظر.

وعلى عواتقنا تقع مهمة التصحيح، وإعادة تشكيل العقول، ووضع أصابع الاتهام على مواطن الخلل، وفي أعناقنا أمانة البدء بالعمل.. من أنفسنا.. من قلوبنا.. من عقولنا.

تميل بنا المركب في رياح عاتية، وليل حالك، نجد فيه من أصدقائنا، أعظم مما كنا نلقاه من أعدى وأعتى أعادينا.

وسنبقى ثابتين بإذن الله على مواقعنا نطلب الفجر حثيثاً حتى نراه.. أو نقضي دونه.

غرباء حيثما حللنا، غرباء أينما كنا، غرباء مع الأهل والأقرباء.. غرباء بين الإخوة والأصدقاء، غرباء حتى بين بني جلدتنا.. وغرباء مع الغرباء، وطوبىٰ للغرباء.

❦ ❦ ❦

مدريد ٢١/ ٢/ ٨٧

لابالما ٢/ ٤/ ٢٠٠١

ENSAYOS EN LOS TIEMPOS DEL SUFRIMIENTO

ESPAÑA, MADRID 21/2/1987

NAWAL SIBAI

Dar Al-Warraq
Beirut



نوال السباعي

